

< تأليف >

ليود سبنسر
أندريجي كروز

< ترجمة >

إمام عبد الفتاح إمام

المشروع القومي للترجمة

أقدم لك ..

عصر التنوير

تأليف

ليود سبنسر

و

أندرزيجي كروز

ترجمة

إمام عبد الفتاح إمام

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

العدد: ٦٩٨
عصر التنوير
ليود سبنسر
أندريجي كروز
إمام عبد الفتاح إمام
الطبعة الأولى: ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب:

The Enlightenment

by: Llyd Spencer &
Andrzej Kraze

الصادر عن دار:

ICON BOOKS (2000)

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 Fax : 7358084

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المترجم	11
ليكن نور	13
تألق الملك المطلق وإشعاعه	14
باريس عاصمة التنوير	15
بدايات النور	16
إنجلترا والثورة المجيدة	17
عصر الثورات	18
المقاهى والنوادر الاجتماعية، والصحافة	19
الصفحة البيضاء عند لوك	20
لغة الذات	22
فهم حدود فهمنا	23
علم النفس.. والرواية	24
ترسترام شاندى	25
تأثير لوك الاجتماعى	26
قصص خيالية فى خدمة الحقيقة	27
مغامرات الـ	28
روايات الفلاسفة	29
كانديد	31
روايات عصر التنوير	32
فكرة المتوحش النبيل	34
الرسائل الفارسية	36
قولتير يفر إلى إنجلترا	44
رسائل عن إنجلترا	45

46 نظرة فولتير عن الدين فى إنجلتر
48 حرية الضمير والروح التجارية
49 عن البرلمان
51 القديسون الرعاة فى عصر التنوير
52 أبو الفلسفة التجريبية
53 السياسة عند جون لوك
54 إسحاق نيوتن
55 نيوتن للمبتدئين
57 نيوتن: النموذج
58 فلاسفة التنوير
62 المرأة المستنيرة
65 سيدات مستنيرات
68 القارئ والرقيب
69 الصناعة والعلم
70 الموسوعة
72 شجرة المعرفة
73 مَنْ هم عظماء التاريخ ؟
74 أهمية الحرف أو التجارة
75 الميتافيزيقا والآلات
76 ذروة النجاح
78 الهجوم على فلاسفة التنوير
79 أزمة عام ١٧٥٨
80 مالمشرب أو مسيو جيوم
81 الملك: ما له وما عليه
82 مغامرات مسيو جيوم
84 دينس دريدو
85 التاريخ السرى لروحه

86	ديدرو والأصدقاء
87	ما المقصود بالموسوعة؟
88	الفن فى عصر التنوير
91	جان چاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)
92	تحديات روسو
93	مقال عن أصل التفاوت
94	قولتير فى مواجهة التفاوت
95	الطبيعة والتاريخ
96	الطبيعة بوصفها نسقا: لينوس
97	الطبيعة بوصفها تاريخا: بوفون
98	فضيحة المذهب المادى
99	لامترى وهلفتيوس
101	المذهب المادى وتحسين الموجودات البشرية
102	هولباخ
103	مصنع المفكرين الأحرار
104	حلم دالمبير
107	البرلمانات الفرنسية
109	مونتيكيو وروح القوانين
111	القانون الطبيعى
112	التحفة المهملة
113	الحرية الفردية وحكم القانون
115	المستبد المستنير
117	فردريك الثانى: ملك بروسيا
118	كاثرين العظمى: ملكة روسيا
120	إرشادات للإمبراطورة
121	الكاهن.. والفيلسوف
122	الفلاسفة لن يشكلوا أبدا فرقة دينية

123 الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا
124 عصر التنوير بوصفه عصر الإيمان
125 الضرورة الاجتماعية للدين
126 وضع الخوف من جهنم
127 الكنسية، والدولة، والحقوق المدنية
129 الماسونية
131 صانع الساعات العظيم
132 مذهب الشك عند ديفيد هيوم
134 رسالة عن الطبيعة البشرية
137 موسيقى عصر التنوير
140 روسو المتوحش
141 رحلة إلى الباطن
142 اعترافات روسو
145 الرومانسي الأول
146 آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠)
148 نظرية عن المشاعر الأخلاقية
150 ثروة الأمم عام ١٧٧٦
151 اليد غير المرئية
152 سميث و روسو
154 صامويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤)
155 سميث ينضم إلى نادى دكتور جونسون الأدبى
156 بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠)
157 الثورة الأمريكية
158 إعلان حقوق الإنسان
160 الفقير والعبيد
161 إدانة الرق
162 دفاع عن الرق

163	إمانويل كانط
165	ما المقصود بعصر التنوير ؟
167	عصر التنوير المضاد
170	جورج هامان (١٧٣٠ - ١٧٨٨)
171	اللغة أورانون العقل
172	العاصفة والاندفاع
174	فولتير فى فيرنى
175	رجل واحد: منظمة عفو دولية
176	الرعاع
177	أزمة فى النظام القديم
178	الثورة الفرنسية
180	نهاية عصر التنوير
181	تأليه جان چاك
182	الجمهورية المثالية
184	مشروع عصر التنوير: انتهى أم لا ؟
186	مراجع
187	سير ذاتية

مقدمة

بقلم المترجم

أقدم لك .. هذا الكتاب ... !

هذا هو الكتاب الحادى والخمسون من سلسلة «أقدم... لك!»، وهو يتناول بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التى مرّت على الإنسان فى العصر الحديث، وأعنى به «عصر التنوير» فى القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين؛ ولعل هذا هو السبب الذى جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن «الثورة المجيدة» فى إنجلترا وهى التى نشبت فى أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصر التنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم فى التاريخ الإنسانى فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين فى أوروبا والعالم الجديد يرتبطون فى شبكة من الصداقة، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدأون فى تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهى الدعوة إلى إعادة التفكير فى العالم بمصطلحات دنيوية.

ولقد كان المفكرون القادة لعصر التنوير فى القرن الثامن عشر يعتقدون أنه يمكن تفسير النظام الأساسى للكون عن طريق الجهود العلمية، وأنه يمكن السيطرة على كل مسارات الطبيعة والكشف عن أسرارها.

ويركز الكتاب على شخصيات رئيسية فى هذا العصر منها: فولتير، ومونتسكيو، وديدرو، وروسو، وهولباخ، ودالمبير، وديفيد هيوم... لكنه لا ينسى الرواد الذين امتد أثرهم قويا إلى هذا العصر، ومنهم الفلاسفة الإنجليز: جون لوك، وفرانسيس بيكون، وتوماس هوبز، وقبل هؤلاء جميعا إسحاق نيوتن.

كما عرض نماذج من كتاباتهم التي كان لها أثرها في عصر التنوير: الرسائل الفارسية، وروح القوانين لمونتسكيو، والعقد الاجتماعي وأصل التفاوت لروسو، ومقال عن الفهم الإنساني، ورسالتان في الحكم لجون لوك.. فضلا عن الروايات والقصص والمسرحيات التي احتوت على الكثير من الأفكار التنويرية، لكنه توقف طويلا عند «الموسوعة» الشهيرة والمواد التي تضمنتها والصعوبات التي صادفت نشرها، وتوقف العاملين بها ثم معاودة الكتابة، ومصادرة السلطات لها، والجهود الجبارة التي بذلها فلاسفة التنوير لإصدارها، بمعاونة بعض الملوك ومعارضة بعضهم الآخر.. إلخ، وفرار فلاسفة التنوير خوفا من ملاحقة السلطات لهم: فولتير إلى ألمانيا، وإلى إنجلترا، وروسو إلى جنيف ثم إلى إنجلترا، وديدرو إلى روسيا.. إلخ. فتاريخ كتابة «الموسوعة» التي اعتبرت إحدى إنجازات عصر التنوير العظيمة - ملئ بالأشواك والمصاعب والعرق والدموع! كما يكتب المؤلف أيضا عن آدم سميث، وصامويل جونسون، وإمانويل كانط، وبنيامين فرانكلين، وتوماس جيفرسون كما يكتب عن الماسونية والأعضاء البارزين فيها: فهو إذن بحث مركز، وإن كان شاملا، في حيز ضيق عن عصر من أخطر عصور الحضارة.

ومن هنا كان الكتاب بالغ الأهمية لكل مثقف يريد أن يلمَّ بعصر التنوير في عجلة سريعة...

نرجو أن نكون قد وفقنا في نقله إلى اللغة العربية...

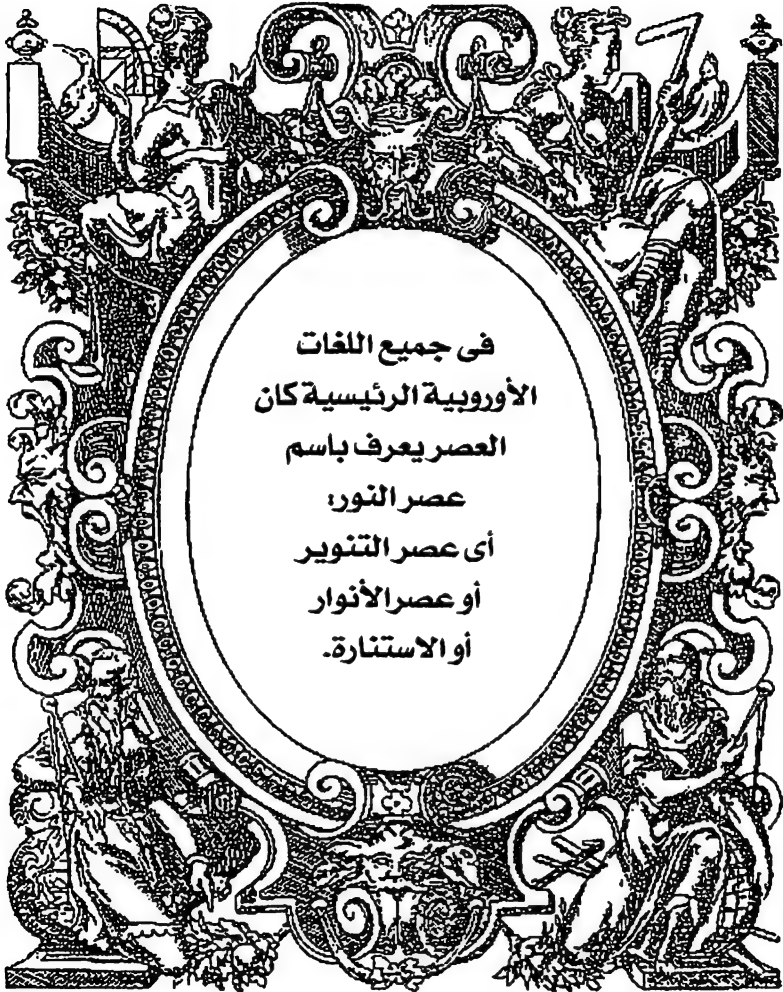
والله نسأل أن يهدينا جميعا سواء السبيل،

المشرف على سلسلة «أقدم لك ..»

إمام عبد الفتاح إمام

ليمكن نور..

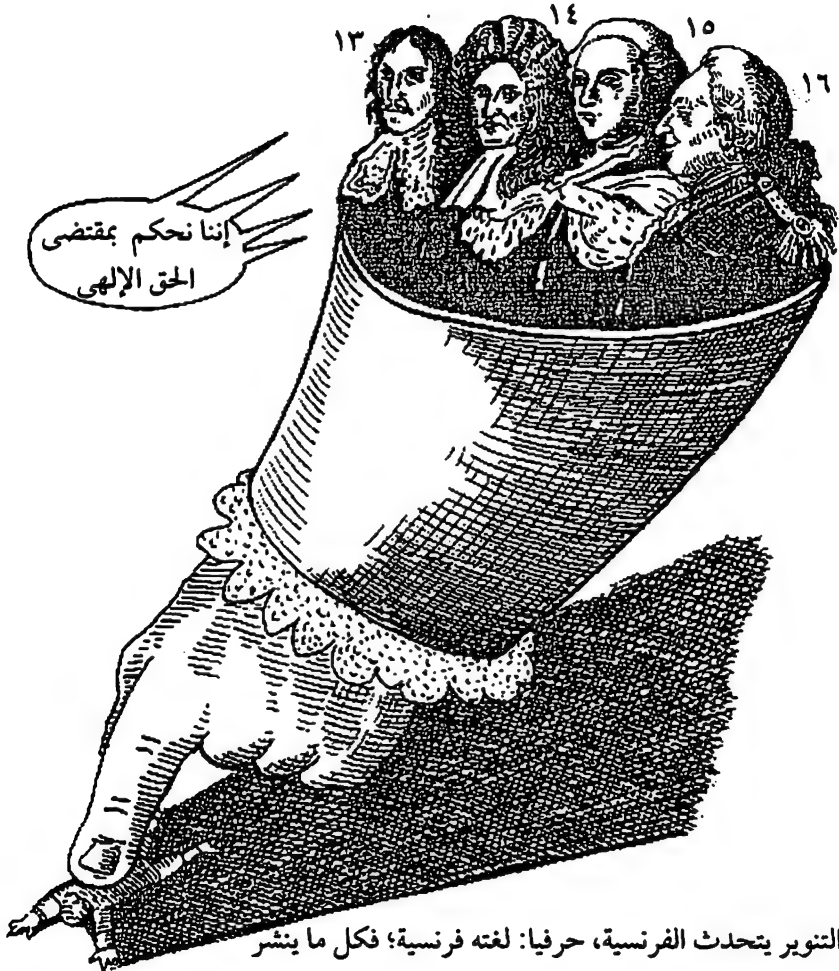
كان التنوير تيارا عقليا حرك أوروبا كلها إبان القرن الثامن عشر، وتركز في باريس، ثم انتشر منها في كل أرجاء أوروبا ومنها إلى المستعمرات الأمريكية، فكانت هناك شبكة من الكتاب والمفكرين، أعطت للقرن الثامن عشر تماسكا عقليا ملحوظا.



لقد شعر مثقفو عصر التنوير بأنهم جزء من حركة عظيمة تمثل التطلعات العليا والإمكانات الرفيعة للجنس البشرى، فهم مصلحون يؤمنون بأن قضيتهم يمكن خدمتها على أفضل نحو عن طريق عاطفة جديدة للبرهان، والنقد، والنقاش.

تألق الملك المطلق وإشعاعه

فى فرنسا كان عهد الملك المطلق: لويس الثالث عشر (١٦٠١ - ١٦٤٣)، ولويس الرابع عشر - الملك الشمس - (١٦٣٨ - ١٧١٥)، ولويس الخامس عشر، ولويس السادس عشر (١٧٥٤ - ١٧٩٣) قد جعل من باريس عاصمة الثقافة فى العالم، وخلق فى الوقت ذاته جمهوراً وهدفا للإصلاح فى التنوير الفرنسى.



التنوير يتحدث الفرنسية، حرفياً: لغته فرنسية؛ فكل ما ينشر فى فرنسا تتقبله فى الحال جماعة المثقفين فى كل أنحاء أوروبا، والمؤلفات المهمة التى لم تكتب أصلاً فى فرنسا سرعان ما تترجم إلى اللغة العالمية. ويعلن رجال الأدب والثقافة فى أنحاء العالم أنهم تلاميذ للكتاب الفرنسيين.

باريس عاصمة التنوير



كان ذلك صحيحا بالنسبة إلى ديفيد هيوم، وآدم سميث في إسكتلندا بقدر ما هو صحيح بالنسبة إلى بنيامين فرانكلين وتوماس جيفرسون في المستعمرات الأمريكية، وسيزار بيكاريا في ميلان. فهم يعرفون أنهم «وصلوا» عندما يقبلون في صالونات باريس. فجماعة البلاط في جميع أنحاء أوروبا، وكذلك طبقة البرجوازيين الأثرياء ينظرون إلى فرنسا على أنها النموذج للدولة.

فرنسا تعزف نغمة الفنون
والآداب وهندسة العمارة.

وعادات الصالونات، والطهو،
والصحافة، والموضة الفرنسية
هي تجسيد للحضارة.



كتب أحد الإقطاعيين في مقاطعة سسكس الإنجليزية يقول: «الرجل الذي يفهم الفرنسية يستطيع أن يتجول في أنحاء العالم دون خوف من أن لا يفهمه أحد، وفي استطاعته أن يكون مقبولا تمامًا من كل صحبة جيدة، وهو ما لا يحدث في أية لغة أخرى مهما كانت».



بدايات النور

كتب لورد شافتسبري في ٦ مارس عام ١٧٠٦ رسالة إلى «لوكليرك» يقول فيها: «هناك نور قوى ينتشر في جميع أنحاء العالم، لاسيما في تلك الدول الحرة مثل إنجلترا وهولندا، فهي أكثر الدول تحرراً في أوروبا، فأستردام تقدم مأوى للمفكرين الأحرار والمنشقين دينياً من كل صوب». وفي عام ١٦٦٧ كتب الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) «رسالة في التسامح»^(١) وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمتأمرين البروتستانت ضد حكم الملك الكاثوليكي جيمس الثاني (١٦٣٣ - ١٧٠١).



وهناك توافر لوك على كتابة مؤلفاته الرئيسية «مقال حول الفهم البشري» و «رسالتان عن الحكومة»^(٢) ولقد ظل هذان الكتابان موضع مناقشات حادة إبان عصر التنوير.

(١) ترجمها عن اللاتينية الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت عام ١٩٨٨ .
(الترجم)

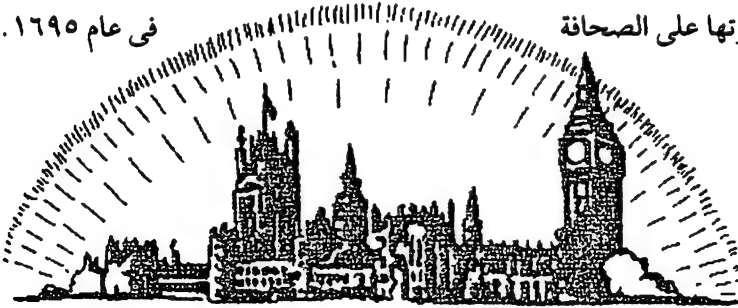
(٢) ترجمها إلى العربية الدكتور ماجد فخري تحت عنوان «في الحكم المدني» اللجنة الدولية لترجمة الروائع عام ١٩٥٩ . (الترجم)

إنجلترا و «الثورة المجيدة» (١)

المقاومة المستمرة للملك جيمس الثاني وأنشطته الكاثوليكية جعلت البرلمان الإنجليزي يستدعى وليام الثالث البروتستانتي الهولندي «أون أورانج» (١٦٥٠ - ١٧٢) وزوجته الثانية ماري الثانية لتولي عرش إنجلترا، فأبحرا من هولندا وأحدثا بذلك ثورة غير دموية هي التي تسمى باسم «الثورة المجيدة» عام ١٦٨٨.



ولقد أرسى هذه الثورة - بالقطع - سيادة البرلمان الإنجليزي، وأصدرت إنجلترا ما سمي باسم «لائحة الحقوق»، وسرعان ما ظهرت إصلاحات أخرى في إنجلترا أكثر الدول ليبرالية وتحراً في أوروبا. وسمح قانون التسامح عام ١٦٨٩ لمعظم المنشقين البروتستانت - بما في ذلك بعض الفرق من أمثال الكويكرز - بالعبادة في حرية دون أن تكون لهم وظائف عامة. وفقدت كنيسة إنجلترا احتكارها للعبادة الدينية، والتربية، والبقايا الأخيرة من سيطرتها على الصحافة في عام ١٦٩٥.



(١) يطلق تعبير «الثورة المجيدة» في التاريخ الإنجليزي على أحداث السنوات (١٦٨٨ - ١٦٨٩) التي أدت إلى خلع جيمس الثاني وتولية وليام ٣ «أورانج» البروتستانتي وزوجته ماري ٢ اللذين قبلتا قانون الحقوق، وأقرتا سيادة البرلمان. (المترجم)

عصر الثورات

لعاصمتان العالميتان الكبيرتان: باريس ولندن، نمتا معا بطريقة درامية إبان القرن ، إلا أن القوة التجارية لإنجلترا كانت تعنى أن لندن أكثر تقدما، فقد كانت إنجلترا من الأول من القرن تمر بثورة زراعية، وفي النصف الثاني من القرن تقدمت اعية بضع خطوات.

ولقد أدى العصر، فى عام ١٧٧٦، إلى ظهور ثورة ضد إنجلترا فى مستعمراتها الأمريكية.



فى عام ١٧٨٩ أدت انتفاضة الثورة الفرنسية، فى النهاية، إلى تغيير كل شيء.



إلى فرساي، إلى فرساي، عام ١٧٨٩.

د حاولت هذه الثورات أن تضع مبادئ عصر التنوير موضع التطبيق العملى.

المقاهى، والنوادي الاجتماعية، والصحافة

كان ذلك أيضًا عصر صحافة الأفكار، والألفة العامة أو المؤانسة. كما كان
 اة الثقافية فى لندن، فلم يحل عام ١٧٤٠ إلا وكان هناك أكثر من ٤٠٠
 قة وستمنستر وحدها. واستخدمت البنوك المقاهى، كما استخدمتها ش
 قية للتجارة، وأصبحت مقهى «لويد» فى عام ١٦٩١ هى «لويد لندن»،
 بن البحرى.



الصفحة البيضاء عند لوك

كان الكتاب الأساسى فى القرن الثامن عشر للفيلسوف ولغير الفيلسوف على السواء هو كتاب جون لوك «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٦٩٠ . كان المعتقد الفلسفى عند معظم مفكرى عصر التنوير، تقريبا، هو مبدأ جون لوك القائل بأن الذهن يولد «صفحة بيضاء» وأنه ليس هناك أفكار «فطرية» وأن كل معرفة مستمدة من التجربة.

دعنا الآن نفترض أن الذهن يولد ورقة بيضاء خالية من كل خصائص، وبلا أية أفكار، فكيف تتأث هذه الصفحة؟ من أين يأتى لها هذا المخزون الهائل الذى يرسم منه خيال الإنسان الذى لا حد له هذا النوع اللانهائى تقريبا...؟! من أين تأتى كل مواد العقل والمعرفة... عن هذه الأسئلة كلها أجيب بكلمة واحدة هى: من التجربة.



كان رأى لوك التجريبي يستهدف أساساً عقلانية رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠)

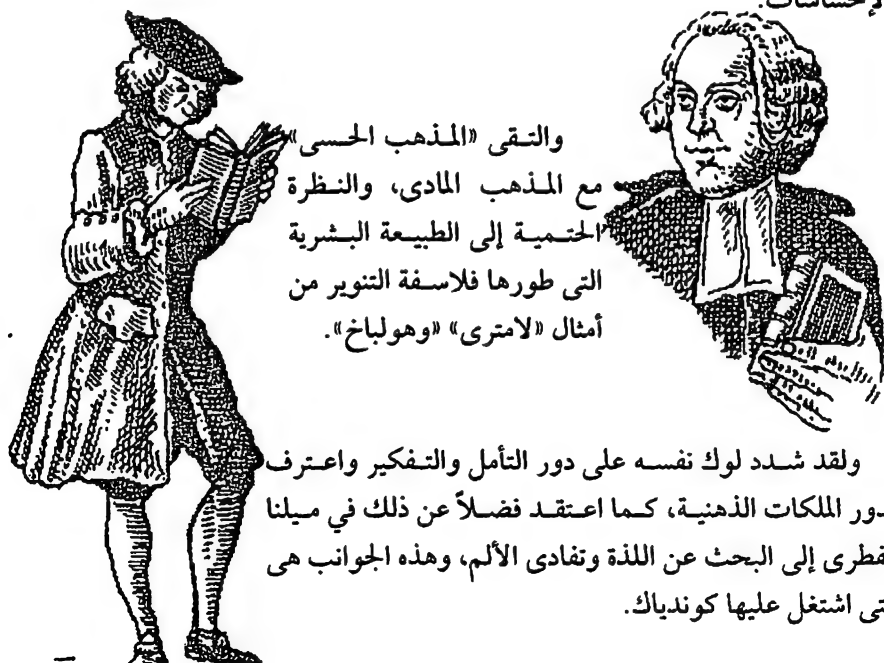


هناك أفكار (مثل فكرة: الله، الذهن، البدن، أو فكرة المثلث) يمكن لنور العقل وحده أن يصل إليها، وهى لهذا السبب تسمى أفكاراً «فطرية».

تفرق تجريبية لوك بين نوعين من التجربة: الإحساس الخارجى والتأمل الداخلى.



وفى فرنسا عمد إيتين كوندياك (١٧١٥ - ١٧٨٠) إلى جعل فلسفة جون لوك شعبية، فأكد فى كتابه «مقال عن أصل المعرفة» عام ١٧٤٦ دور الانطباعات الحسية أو الإحساسات.



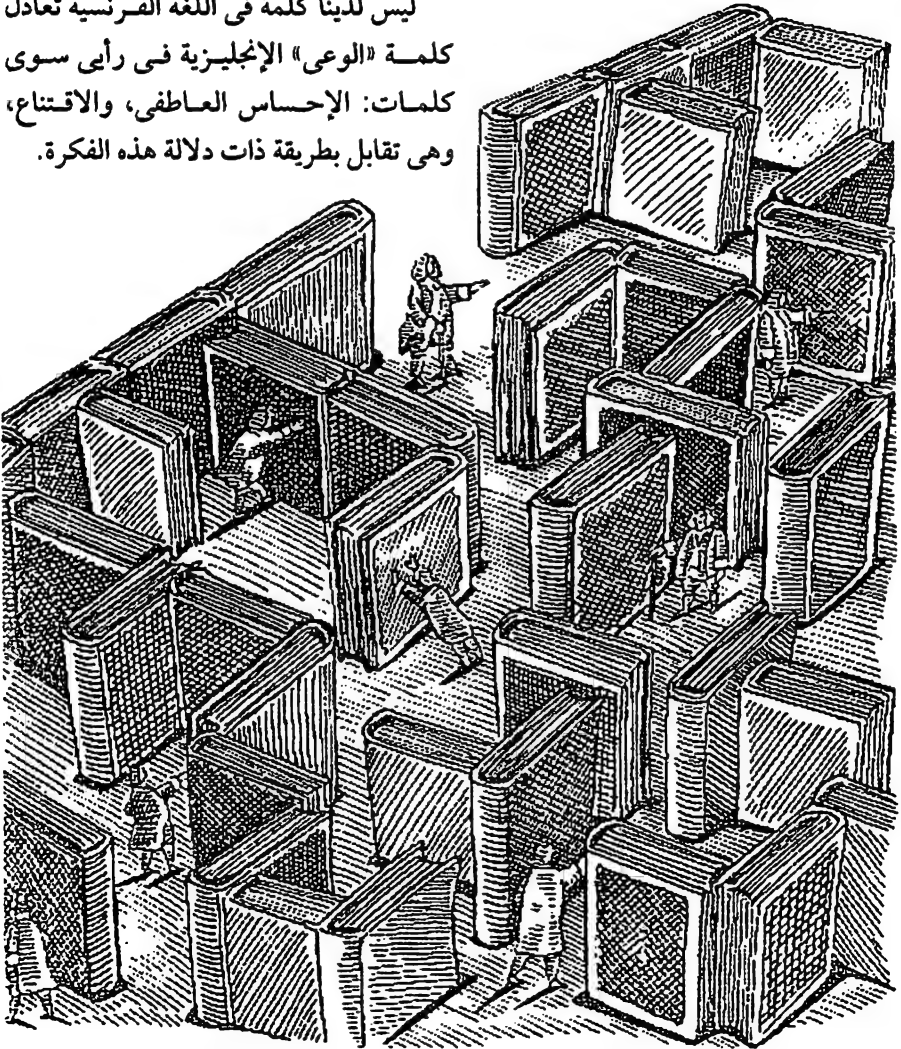
والتقى «المذهب الحسى» مع المذهب المادى، والنظرة الحتمية إلى الطبيعة البشرية التى طورها فلاسفة التنوير من أمثال «لامترى» و«هولباخ».

ولقد شدد لوك نفسه على دور التأمل والتفكير واعترف بدور الملكات الذهنية، كما اعتقد فضلاً عن ذلك فى ميلنا الفطرى إلى البحث عن اللذة وتفادى الألم، وهذه الجوانب هى التى اشتغل عليها كوندياك.

لغة الذات

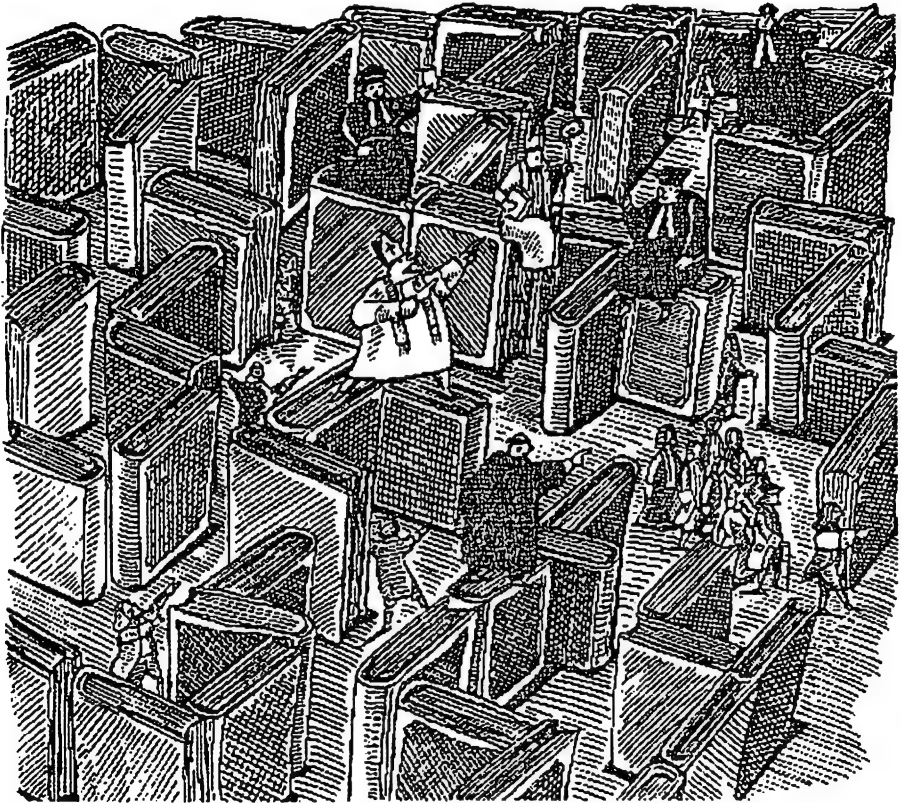
أدخل «بيسر كوست» الذى ترجم كتاب جون لوك: «مقال عن الفهم البشرى» عام ١٧٠٠ ملحوظةً يشرح فيها لماذا ترجم مصطلح «الوعى» بكلمة «الضمير» الفرنسية فقط ليستشهد بعبارة ششرون «الوعى الأخلاقى يعنى معرفة الإنسان لنفسه»، لكنه يعترف بأنه انحرف بكلمة الضمير الفرنسية من معناها العادى المؤلف ليعطيها معنى لم يكن لها أبداً فى اللغة الفرنسية.

ليس لدينا كلمة فى اللغة الفرنسية تعادل كلمة «الوعى» الإنجليزية فى رأى سوى كلمات: الإحساس العاطفى، والافتناع، وهى تقابل بطريقة ذات دلالة هذه الفكرة.



فهم حدود فهمنا

لعدة مئات من السنين ظلت أرض السيرة الذاتية محجوزة كلها للقساوسة والمعترفين، وكانت الكنيسة تملك لغة غنية متطورة للمبادئ الأخلاقية. ودراسة لوك للفهم البشرى قادت إلى تطوير لغة جديدة عن الجوانب التي يمكن أن نسميها لغة سيكولوجية. ولم تكن كلمة السيكولوجيا تستخدم كثيرا في القرن الثامن عشر، ولقد شرع لوك في توجيه نقد مدمر لما كان لدى أساتذة الجامعات في العصور الوسطى من «نسيج من الكلمات المربكة الغريبة والتي لا يمكن تفسيرها». وبدأ يخطط لتحكم جديد للجانب الداخلي.



فهمنا محدود، وعلينا أن نقبل حدوده، لكن داخل الحدود المفروضة علينا، دعنا نمارس أقصى فهم ممكن عن طريق دراسته والوقوف على طريقة عمله.. وينبغي علينا أن نلاحظ كيف تتشكل أفكارنا وكيف تتجمع وترابط الواحدة مع الأخرى، وكيف تحتفظ بها الذاكرة. وبالنسبة لهذا النشاط كله، فمازلنا نجهل حتى الآن جهلا تاما.

علم النفس... والرواية

علم النفس، كما فهمه القرن الثامن عشر، هو العلم الذى خطط له جون لوك، وكان كتاب «المقال ...» لـجون لوك المنبع والمصدر الأساسى لضرب من الأدب يتعامل مع «ردود أفعال الذات» المتماسكة أو غير المتماسكة للانطباعات التى تؤثر فيها وتشكلها.

أنا لا أدين بشيء للطبيعة
لكنى أدين بكل شيء لدراسة
طويلة ومتأنية لكتب عظيمة
معينة : العهد القديم، والعهد
الجديد، ولـ «جون لوك»
الذى بدأت فى قراءته وأنا
شاب وواصلت قراءته حتى
الآن.



فى الوقت الذى كان لورنس ستيرن (١٧١٣ - ١٧٦٨) يكتب روايته «حياة وآراء ترسترام شادى» (١٧٥٩ - ١٧٨٧) كان كتاب «المقال ...» لـجون لوك يتغلغل فى الوعى الأدبى بطريقة تختلف أتم الاختلاف عن أى كتاب «فلسفى» آخر، بل إن رواية ستيرن تقدم لمحة مختصرة عن كتاب جون لوك العظيم.

ترستردام شاندی

صل ، يا سيدى فى كل قراءة تقرؤها، هل قرأت فى أية قراءة قرأتها كتابا مثل كتاب جون لوك «مقال عن الفهم البشرى»؟ لا تتسرع فى الإجابة لأننى أعرف أن كثيرين اقتبسوا من الكتاب ولم يقرءوه وأن كثيرين قرءوه، ولم يفهموه.



لو كانت حالتك هى أيا من
هايتن الحاليتين، فإننى سوف
أخبرك فى ثلاث كلمات ما هو
هذا الكتاب: إنه تاريخ - تاريخ
لمن؟ ولماذا؟ وأين؟ ومتى...؟

.. إنه كتاب فى التاريخ.. تاريخ ما مرَّ على ذهن الإنسان، وإذا ما أردت أن تقول
الشيء الكثير عن الكتاب، بغير زيادة، صدقنى أنك لن تتجاهل أية شخصية حقيرة فى
دائرة الميتافيزيقا.

.. تأثير لوك الاجتماعي

تجاوز تأثير جون لوك المدارس والجامعات، والمجتمعات المثقفة والأكاديميات؛ فقد أصبحت أفكار «لوك» «خصائص» لازمة للنخبة المثقفة.



قصص خيالية فى خدمة الحقيقة

كان هناك تفاعل مستمر فى أدب القرن الثامن عشر بين الفلسفة والقصة الخيالية، وهذه الروايات تراث يمتد إلى الوراء حتى الإمبراطورية الرومانية، إلا أن القصة الخيالية فى عصر التنوير واجهت مهاماً جديدة، وملحة.

والقصة الخيالية تناسب بطريقة فريدة السن التى يقوم فيها الفتى - أو الفتاة - بشق طريقه إلى العالم، أما القراء الذين يزداد حب استطلاعهم ومعلوماتهم فيتوقعون حكايات عملية ونموذجية. وتوضع الأفكار المتلقاة على محك اختبار التجربة، وتقاسى الأعراف الأدبية من مطالب الواقع غير المنظم.

لقد كانت الرواية فى عصر التنوير تتميز بتركيزها على الفرد الواحد وتحقق من أثر العالم الذى لا يمكن التكهن به على تجارب هذا الفرد.



تم البرهنة مرة بعد مرة على
مسلمة لوك القائلة بأننا يصنعنا
ما يمر بنا من أحداث.

وهناك نوع آخر من المعرفة يتجاوز سلطة
التعليم ويمكن تحصيله عن طريق المناقشة، ولا
يمكن للكشف العملى الحقيقى أن يُعرف إلا
عن طريق العالم فحسب.



(١) دانيال ديفو (١٦٦٠ - ١٧٣١): أديب إنجليزى كتب روينسون كروزو عام ١٧١٩. (المترجم)

(٢) فيلدنج، هنرى (١٧٠٧ - ١٧٥٤): روائى وكاتب مسرحى إنجليزى كتب «جوزيف أندروز» التى وصفها بأنها «ملحمة هزلية» كما كتب مسرحيات كلها كوميدية. (المترجم)

مغامرات الـ ...

يسافر أبطال القرن الثامن عشر وبطلاته حول العالم فى رحلاتهم التشردية، آملين فى تحسين أنفسهم وتحسين مصيرهم فى الحياة، وهم يحاولون - على أقل تقدير - تدعيم شعورهم بقيمتهم الذاتية فى مواجهة الشدائد والمحن والفساد، والغواية.



فى كثير من هذه القصص نلتقى بالشخصية الرئيسية وهى متورطة فى مشكلة أخلاقية أو مآزق أخلاقي، وكثيرا ما نعلم كل حركة يقوم بها، وبكل نزوة يعانون منها، من خلال الخطابات التلقائية التى يكتبونها.

رواية بامبلا (للروائي الإنجليزي صمويل ريتشاردسن)، هلويز الجديدة (لجان چاك روسو) آلام فترت الشاب (لجوته)، العلاقات الخطرة (شودر لوز دى لاكلوز).

روايات الفلاسفة

الروائيون فى عصر التنوير لم يستعروا، ببساطة، مجموعة من الأفكار الفلسفية، وإنما جعلوها درامية ووهبوا الحياة، ولقد كتبت بعض الروايات العظيمة فى هذا العصر بقلم أعظم فلاسفته أهمية. فقد كانت «هلوز الجديدة» التى كتبها جان چاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) أكثر القصص رواجاً فى القرن الثامن عشر، كما لاقت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو، و«كانديد» لفولتير نجاحاً فى كل أوروبا، أما التحفة الأدبية لديدرو فكانت: «چاك المؤمن بالقضاء والقدر».



أنا وديدرو أنتجنا الرواية الفلسفية
التي تتبع فيها الشخصية والحبكة
الحاجة إلى ارتياد مشكلة جزئية
خاصة.

لكني، وفولتير معاً، استبعدنا
شكلاً آخر من أشكال القصة الخيالية
القصيرة التي تقتصر على الفلسفة
بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة.

مثل قصة ديفو «روبنسن كروزو»، لكن على نطاق أصغر، هذه القصص عبارة عن
«تجارب فكرية».

وتشمل حكايات فولتير رواياته:
كانديد، والحكايات الأقصر،
ومكروميجاس، وزاديج، والساذج، والثور
الأبيض.



وكانت إحدى السير الذاتية المبكرة التي كتبها فولتير، يعترف الماركيز دي
كوندورسيه (١٧٤٣ - ١٧٩٤) بالعقوبة الفنية التي ظهرت في كتابه «كانديد» وغيرها
مثل الحكايات الفلسفية، فمن سوء هذا الجنس أن ظهر بمظهر السهل البسيط، «لكنه
يتطلب مواهب نادرة مثل أن تعرف كيف تعد بلعبة الذكاء والخيال - أو حتى بأحداث
القصة - نتائج فلسفية عميقة دون أن يتوقف عن أن يكون طبعياً، وكيف يكون لادعا
دون أن يكف عن أن يكون صادقاً، فعلى المرء أن يكون فيلسوفاً، دون أن يبدو أنه
كذلك». كوندورسيه.

كانديد

سخر فولتير في قصة كانديد أو التفاؤل «عام ١٩٥٩» لا من التفاؤل فقط، بل من جميع أشكال المذهب من ليبنتز ومذهبه الميتافيزيقي إلى مذاهب الكنيسة والمذاهب الاستعمارية، بل حتى مذهب المنطق نفسه - والقصة تتبع البطل «كانديد» في معظم العالم المعروف في ذلك الوقت عارضا أنواع النفاق والجنون ومؤسساته ومواقعه. وكان يصاحب «كانديد» دكتور «بانجلوس» الذي يردد ترديدا يساغويا لصورة ممسوخة غير منطقية لمذهب ليبنتز، وكان يؤمن إيمانا لا يتزعزع بأن المنطق والعقل يمكن أن يبررا جميع شرور الوجود بأن يتجاهلا الوقائع ميتافيزيقيا، وتنتهي الرواية عندما يدرك كانديد في النهاية أن العمل أكثر نفعاً من النظر الفارغ.



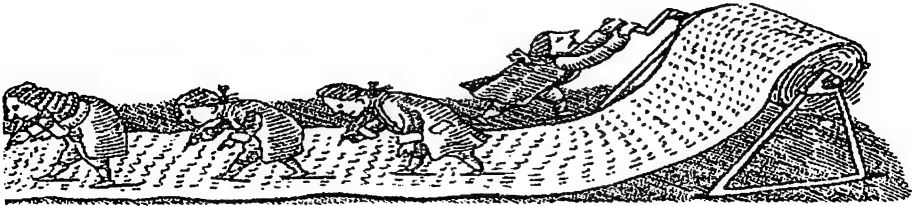
روايات عصر التنوير

دانييل ديفو (١٦٦٠ - ١٧٣١): كان من أوائل الكتّاب الذين كسبوا عيشهم ككاتب محترف مستقل، فقد كتب أكثر من خمسمائة عمل تم نشرها بما في ذلك الكتابات الصحفية السياسية والدينية. في عام ١٧٠٤ عندما كان يعمل موظفا حكوميا بدأ في نشر صحيفته الخاصة، بعنوان، الصحيفة النقدية The Review وكانت الصحافة هي الأساس في نشر بعض الكتب الرئيسية مثل «يوميات سنة الطاعون» ١٧٢٢، وكان ديفو تقريبا في الستين من عمره عندما كتب أول قصصه الخيالية: «روبنسن كروزو» عام ١٧١٩، ثم أعقبها قصص أخرى مثل: «حظ وبؤس مول فلاندرز الشهيرة» ١٦٢٢، و«روكسانا السيدة المحظوظة» عام ١٧٢٤، و«جوناثان سويفت» ١٦٦٧ - ١٧٤٥ الذي أرسل إلى لندن مبعوثا للكنيسة الأيرلندية. وكتب العديد من النشرات وأسس نادي التهكم مع غيره من الساخرين من أمثال مبتكر شخصية «جوبول»^(١) چون آريشوت (١٦٦٧ - ١٧٤٥)، والشاعر ألكسندر بوب (١٦٨٨ - ١٧٤٤)، والكاتب المسرحي چون جاي (١٦٨٥ - ١٧٣٢)، وفي عام ١٧٢٦ نشر سويفت كتابه الساخر العظيم: «رحلات جاليفر». ولقد استهدفت روايات صموئيل ريتشاردسن (١٦٨٩ - ١٧٦١) إدخال الجانب الأخلاقي في صورة جديدة تسمى كتابة اللحظة: «بامبلا أو جزاء الفضيلة» (عام ١٧٤٠)^(٢) وكلاريسا أو تاريخ سيدة شابة (١٧٤٧ - ١٧٤٨)^(٣) وهي مكتوبة على شكل رسائل المفترض أنها أرسلت مباشرة بعد تورط الناس، وهذا الأسلوب في السرد القصصي سخر منه هنري فيلدنج (١٧٠٧ - ١٧٥٤) بروايته «شامبلا» عام ١٧٤١، وكانت مسرحيات فيلدنج الساخرة قد استفزت فقرة من قانون الرافض (عام ١٧٣٧) والرقابة على المسرح. ففي مقدمته لرواية «جون أندروز» عام ١٧٤٢ يعترف فيلدنج بأنه متحير فيما يطلقه على شكل قصته الخيالية أهي «قصيدة ملحمية كوميدية في قالب نثرى». ورواياته الرئيسية الأخرى هي «جونانان وايلد» عام ١٦٣٤، وتوم جونز ١٧٤٩، والمثل الذي وضعه فيلدنج تابعه الروائي الأسكتلندي طوبياس سمولت (١٧٢١ - ١٧٧١) الذي كتب روايات رودريك راندم (١٧٤٨) و«مغامرات بربجرين بيكل» ١٧٥١ و«مغامرات سير لانسوف جريفز» ١٧٦٢ «وحملة همفري كلينكر» ١٧٧١. وتبنى چون كيلاندر (١٧٠٩ - ١٧٨٩) شكل الرواية لبروي ذكريات امرأة المتعة «تعرف عادة باسم فاني هيل» وابتكر رواية كلاسيكية من الأدب المكشوف.

-
- (١) شخصية ابتكرها چون آريشوت لبروي من خلالها بصورة فكهة خصومات يقولوا فروج (لويس الرابع عشر) ولم يستطع أحد كتابة التاريخ على هذا النحو الهجائي الطريف. (المترجم)
- (٢) «بامبلا» قصة خادمة صبية جميلة يحاول سيدها أن يغريها بشئ الوسائل ولا يفلح ثم يتزوجها أخيراً ولا يندم على هذا الزواج. (المترجم)
- (٣) كلاريسا فتاة من الريف، نبيلة جميلة ناعمة ساعدت على الأرض سعادة الملائكة إلى أن ظهر «لقليل» الشيطان في صورة إنسان.. إلخ. (المترجم)

في لحظات يائسة بسبب حاجته الملحة إلى المال لمساعدة أمه المريضة لم يستغرق صموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) سوى أسبوعين فقط لكتابة «تاريخ راسلاس : أمير أبسينيا» (١٧٥٩) وهي رواية أخلاقية تسير في تواز دقيق مع رواية فولتير «كانديد» ونشرت في العام نفسه، وأخرج كاهن إنجليزي هو لورانس ستيرن (١٧١٣ - ١٧٦٨) أكثر الروايات غرابة في عصر التنوير وهي «حياة ترسترام شادي وآراؤه» في تسعة مجلدات (١٧٥٩ - ١٧٦٧) وكتابه الرئيسي الثاني «رحلة عاطفية» (عام ١٧٦٨) يمثل أدب «الحس الرفيع» أو رقة المشاعر الذي كسب أرضا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وكان أبيه بريغوست (١٦٩٧ - ١٧٦٣) من الصحفيين المتحمسين ومترجماً دوبا لا بكل ولا يمل، دائم التردد على حلقات الفلاسفة، قدمت روايته الشعبية «مانوث ليكو» عنصراً تراجيدياً في جنس الرواية، كان بيير كارليه دي ماريغو (١٦٨٨ - ١٧٦٣) كاتباً مسرحياً فرنسياً رائداً في القرن الثامن عشر، كتب «حياة مارين» (١٧٣١ - ١٧٣٢) و«الفلاح محدث النعمة» (١٧٣٤ - ١٧٣٥) ومجموعة من القصص الجميلة، رغم أنها لم تتم، استرعت انتباه فرنسا المعاصرة، وكانت «الرسائل الفارسية» لمونتسكيو عام ١٧٢١ أكثر كتب القرن رواجاً حتى ظهور رواية «كانديد» لفولتير التي نشرها في باريس وجنيف، ولندن، وبروكسل في وقت واحد لجعل الرقابة عليها مستحيلة، ولقد ظهرت ترجمتها الإنجليزية في ستة أسابيع. وهناك القصص الخيالية الخطيرة لـ «ديدرو» مثل «الراهبة» عام ١٧٦٠، و«ابن أخ رامو» عام ١٧٦٣ وكتابه الرئيسي «چاك المؤمن بالقضاء والقدر» في ١٥ حلقة (١٧٧٨ - ١٧٨٠) وكثيراً ما كان ديدرو يجسد الأحداث والأشخاص في محاورات فلسفية خيالية، وذلك مثل «حلم دالمبير»، وكان أعظم القصص الخيالية رواجاً في أواخر القرن الثامن عشر هي قصة «جولى أو هلويز الجديدة» «روسو»، عام ١٧٦١، وهناك قصة في شكل رسائل «أو الرسائل الروائية» عن أوقات الشدة والضيق في الحب المحبط الذي يثير العاطفة، وكذلك الحساسية في علاقات أو «ارتباطات خطيرة» عام ١٧٨٢ بقلم بيير أمبرواز فرانسوا شودرلو دي لاكلوس (١٧٤١ - ١٨٠٣) التي تروى قصة مغويين فاجرين في شكل رسائل خفية مليئة بالتهكم والسخرية، وهناك جوستين الجديدة عام ١٧٩٧ وهي قصة بقلم الماركيز دي ساد (١٧٤٠ - ١٨١٤) وهي نسخة متقحة وموسعة من قصته «جوستين أو سوء حظ الفضيلة» (١٧٧٩) وهي تعبير مفصل عن السادية الجنسية، وكانت تستهدف استدعاء أصدقاء عنوان روسو.



فكرة المتوحش النبيل

كان القرن الثامن عشر هو عصر السياحة العظيم، عصر التجارة البحرية والاستكشاف؛ مما شجع على شكل من أشكال «الأنثروبولوجيا المقارنة».

ففي عام ١٧٦٧ وصل المستكشف الفرنسي لويس أنطوان دي بوجنقى (١٧٢٩ - ١٨١١) إلى تاهيتي^(١)، وفي عام ١٧٦٩ استقر كابتن كوك (١٧٢٨ - ١٧٧٩) هناك لمدة أربعة أشهر ليراقب مرور فينوس Venus «كوكب الزهرة»^(٢) ولما كان بوجنقى من أتباع «روسو» فقد عثر بين أهل تاهيتي على كل صفات «المتوحش النبيل». أما كابتن كوك فقد كان مواطنا

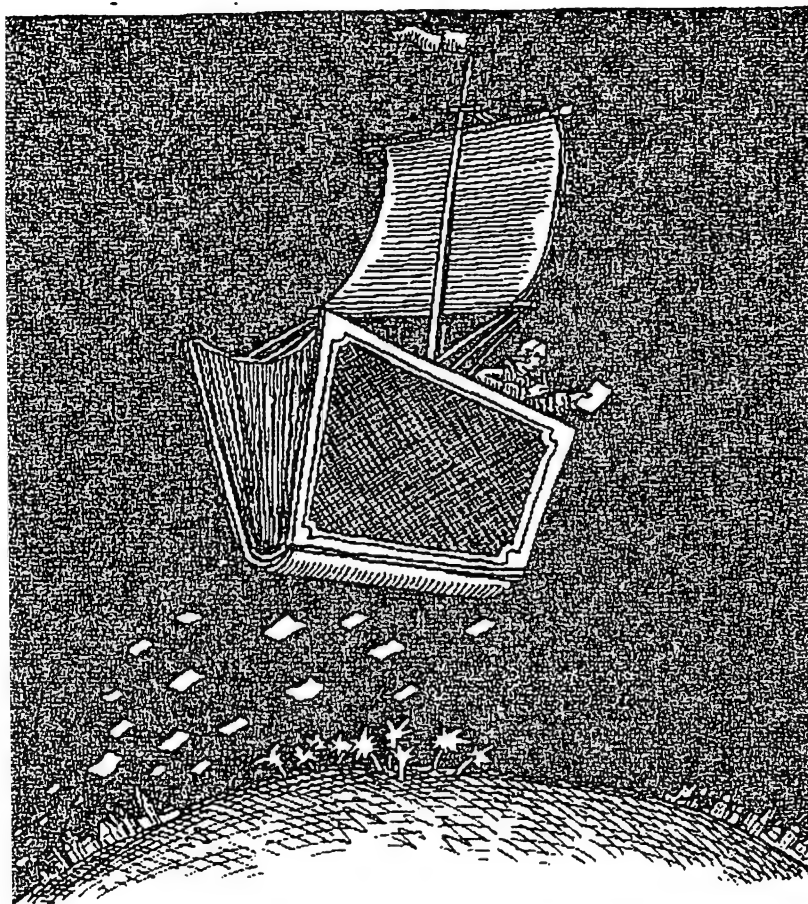


استخدم «ديدرو» في استكمال لرحلة بوجنقى منظور «عين البريء» لرجل تاهيتي لتبسيط الأضواء على غرابة العادات والتقاليد التي اعتبرت «طبيعية». وسرعان ما تساءل المثقفون اللامعون من أهل باريس ولندن عما إذا لم تكن كلمة «الحضارة» تناسب أهالي جزر البحار الجنوبية الذي لم يفسدوا، أكثر مما تناسب المجتمع الفاسد على نحو لا مثيل له في أوروبا في القرن الثامن عشر.

(١) لويس أنطوان دي بوجنقى (١٧٢٩ - ١٨١١) : ملاح ومستكشف فرنسي، قاد أول بعثة فرنسية أبحرت حول العالم (١٧٦٦ - ١٧٦٩) اكتشف عام ١٧٦٨ جزر بوجنقى كبرى جزر سليمان فكرّم بإطلاق اسمه عليها. (الترجم)

(٢) جيمس كوك J. Cook (١٧٢٨ - ١٧٧٩) : ملاح ومستكشف بريطاني يعتبر أحد الملاحين في التاريخ، قاد ثلاث بعثات علمية إلى نصف الكرة الجنوبية ووصل إلى اكتشافات مهمة في أستراليا والمحيط الهادى، قُتل في هاواى، يُعرف باسم الكابتن كوك Captain Cook. (الترجم)

نكرة «المتوحش النبيل» أو (المواطن البسيط) تضرب بجذورها في أدب القرن الـ
 ، فيكاد يكون من الصعب على المؤلف سواء أكان جادا أم هازلا أن يفشل في و
 حشه لقرائه. لقد بدأ «مونتسكيو» بأميره الفارسي كما سوف نرى، أما قولتير
 ل هذا النمط خالدا في قصة «كانديد» ، كما حلله «بوفون» في يقظة آدم، و
 سو» دوره الخاص بتمثيل المتوحش في اعتزاله المتفرد.



يحلول عام ١٧٧٠، لم يكن هناك تلميذ في الفلسفة إلا ويسعى لمراجعة قـ
 دات بلاده في ضوء نصائح أهل الصين أو أهل «إروكوا»^(١) كما أن ابن الـ
 بة ربما يسافر مع كاهنه. دعنا نرى كيف سار مونتسكيو مع هذه الفكرة.

Iroquois : قبائل من الهنود تشمل خمس أمم مرتبطة فيدراليا. (المترجم)

الرسائل الفارسية... (١)

ولد مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) أو البارون شارل لويس دي سكوندا، بارون دي لا بريد، ومونتسكيو - إذا شئنا أن نذكر اسمه كاملا - ولد من أصل نبيل (٢)، وورث مركزا رفيعا كرئيس للمحكمة العليا في مقاطعة بوردو، وفي عام ١٧٢١ نشر (غُفلا في هولنده) ما سوف يصبح واحدا من أكثر الأعمال المعارضة للمؤسسة الحاكمة تأثيرا في القرن الثامن عشر وهو كتاب «الرسائل الفارسية».

والكتاب عبارة عن مجموعة من الرسائل كتبها اثنان من الفرس هما «أوزبك» Us-bek و«ريكا» Ricca في أثناء إقامتهما في باريس، وأسفارهما في أوروبا، إلى أصدقاء في وطنهما وقد شرع الفارسيان في «رحلتها العظيمة».



(١) ترجمها إلى العربية أحمد كمال يونس، وراجعها عبد الحميد الدواخلي ونشرتها دار سعاد الصباح ط ٢ عام ١٩٩٢. (الترجم)

(٢) كان مونتسكيو ينتسب إلى ما يسمى «نبلاء السلاح، ونبلاء الرءاء» فقد كان أبوه كبير القضاة وأمه صاحبة قصر «لا بريد» وأرضها، وهو القصر الذي ولد فيه مونتسكيو. (الترجم)

وفي عام ١٧٥٤ قَدِّمَ مونتسكيو «بعض التأمّلات حول الرسائل الفارسية» شرح فيها ... أنه في الروايات المألوفة لا يُسمح بالاستطراد إلا إذا شكّل هو نفسه قصة جديدة، غير أن استخدام شكل الرسائل التي لا يناقش فيها اختيار الشخصيات ولا المقطوعات، لا بد له من أن يناسب النوايا والمقاصد أو الخطط المتصورة مقدما، يكون للمؤلف ميزة استطاعته إدخال: الفلسفة والسياسة، والخطاب الأخلاقي داخل القصة، وإمكان ربط كل شيء معا بسلسلة سرية تظل خفية، أو غير مرئية إن صحَّ التعبير.



لا شيء يسر الجمهور ويسعده، في الرسائل الفارسية، أكثر من عثوره على نوع غير متوقع من القصة.

كانت المقاهي مشهورة جدا في باريس وهي موزعة في عدد كبير من البيوت المفتوحة أمام الجمهور، ويقوم الناس في بعض منها بإطلاع بعضهم البعض على الأخبار، ويلعبون الشطرنج في بعضها الآخر.



الكثير من الرسائل يصف الناس والمؤسسات في باريس، لقد بدت بعض العادات المقبولة غريبة جدا في أعين الزوار الفرس، أصحاب الذهن الساذج، لكه مفتوح، ولقد حاولا على الدوام التمييز بين ما هو محلي وخاص بالعرف، وما هو عام وكلي أو «طبيعي». ففي الرسالة رقم ٣٠ على سبيل المثال يكتب ريكا إلى إيبين Ibben عن رد فعل الباريسيين على الملابس والحلة بوصفها علامات على الأعراف الاجتماعية «عندما وصلت إلى باريس كانت الأنظار تتطلع إلى كما لو كنت هبطت من السماء: فالشيوخ والشباب والنساء والأطفال كلهم يحبون



أن يروني.. و خلاصة القول: إن الأنظار لم تتجه إلى أحد كما اتجهت إلي».

وقد حملني ذلك على أن أخلع الثياب الفارسية وأرتدى الأوروبية لأرى هل يبقى في سحتي شيء غريب، وهذه التجربة عرفني قيمتي الحقيقية، إذ أنني لما تخلصت من كل حلية أجنبية، قدرت تقديرًا أدق، وكان من حقي أن أشكو من الحياط الذي أفقدني انتباه الجمهور وتقديره في لحظة واحدة وحرمتني حلتاه اعتباري، واهتمام الناس بي وكأنني لم



أكن شيئاً مذكوراً^(١).

(١) .. فصرت أحيانا أقضي ساعة في جماعة دون أن يلتفت إلى أحد أو يتيح لي فرصة أن أفتح فمي لكن إذا حدث عرضاً أن يخبر أحد الجمع بأني فارسي سمعت حولي على الفور لفظاً يقول قائل: وى ! هل السيد فارسي؟ هذا أمر غريب، كيف يمكن أن يكون الإنسان فارسياً!». راجع الترجمة العربية سالفة الذكر ص ٧٠ - ٧١. (المترجم)

لقد استطاع مونتسكيو أن يسخر من أعمدة المؤسسات القائمة مثل المراتب التصاعدية لوظائف الكنيسة.

«البابا رأس المسيحيين، وهو معبودهم القديم الذي اعتادوا تمجيده، وقديما كان الملوك أنفسهم يرهبونه؛ لأنه يخلعهم في يسر كما يفعل سلاطينا العظام مع ملوك أرمينيا وجورجيا، والآن لم يعد أحد يخشاه.. والأساقفة إذا اجتمعوا معا، يعدّون نصوص العقيدة، وإذا انفردوا لم يكن لهم عمل قط إلا الإعفاء من فتاواهم من ميثاق القانون المسيحي». (الرسالة التاسعة والعشرون من ريكّا إلى إيبين في أزمير)



«لقد سمعتُ أنه في إسبانيا والبرتغال هناك بعض الدراويش (الزهاد) لا يعرفون المزاح يحرقون الإنسان كما يحرق الهشيم...»^(١)

عندما أبدت السلطات الكنسية غضبها واستياءها كان مونتسكيو يقول إن الفرس كشفون عن جهلهم!

شير مترجم «الرسائل الفارسية» إلى أن المؤلف يقصد رجال محاكم التفتيش. راجع الترجمة عربية ص ٧٨ ، وإن كان ذلك يتعارض مع حديثه عن المسيحية في الأسطر التالية. (المترجم)

«ومن جهة أخرى فإن هذا الملك ساحر عظيم، إذ يؤثر بسلطانه أيضاً على تـ
رعيته فيجعلهم يفكرون كما يريد، فإذا لم يكن في خزانته سوى مليون جنيه،
في حاجة إلى مليونين، فما عليه إلا أن
يقنعهم بأن جنيهها يساوي جنيهين فيصدقوه».
(الرسالة الرابعة والعشرون من ريكا إلى إيبين
في أزمير).

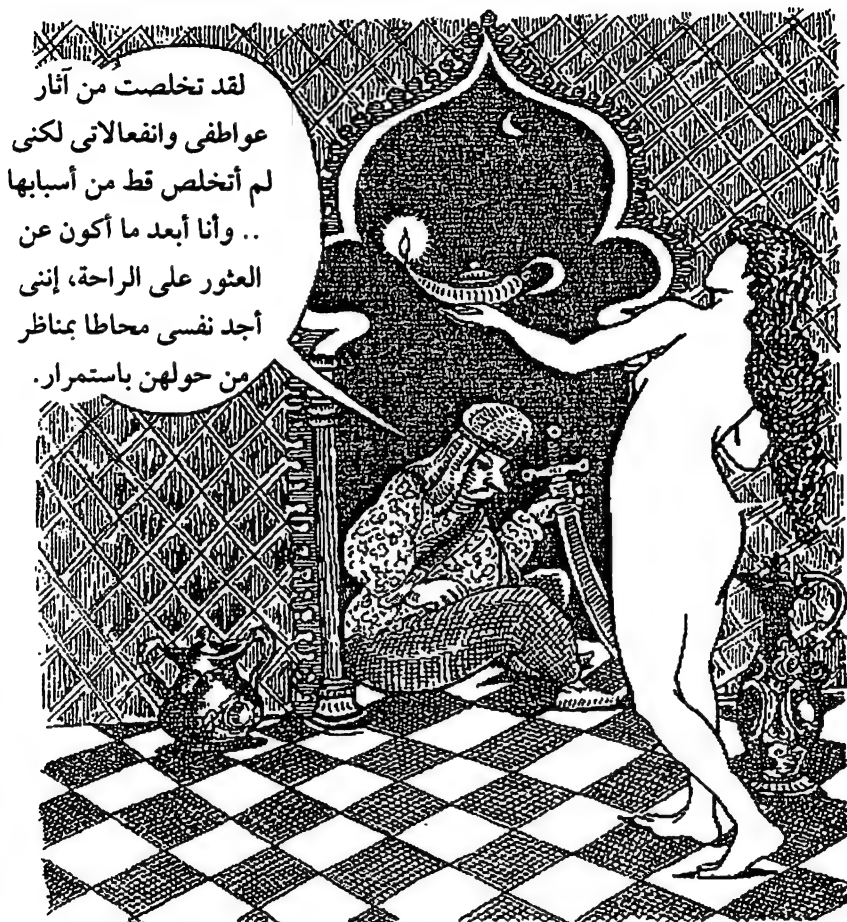


«وإذا ما اشتبك في حرب شديدة الوطأة وهو مفلس، فلا يكلفه إلا أن يدخل
في روعهم أن قطعة الورق مال فيسلمون له بذلك في الحال»^(١).



.. بلغ الأمر إلى أن جعلهم يعتقدون أنه يشفيهم من شتى الآلام إذا لمسهم، فما أعظم
سلطانه! الرسائل الفارسية ترجمة أحمد كمال يونس ص ٥٤ - الناشر مكتبة سعاد الصب
طبعة الثانية عام ١٩٩٢. (المترجم)

وما يشير القارئ بصفة خاصة هو المجموعة الغريبة المأجنة من أحداث القصة التي تنكشف تدريجيا لسلوك الحريم غير المنضبط الذي تركه السائح الفارسي وراءه، وفي رسالة ميكرة من أوزبك إلى كبير الخصيان يرثى، وإحدى زوجات أوزبك تتحسر على غيابه^(١).



أنا أذكر تلك الأوقات السعيدة التي اعتدت أن تأتي فيها إلى أحضانى، ما أنعس امرأة لها مثل هذه الرغبات العنيفة عندما تحرم من الرجل الوحيد الذي كان يمكن أن يشبعها... عندما تترك لنفسها لا بد من أن تقضى وقتها في رغبة مجنونة غير مشبعة.

(١) الرسالة الأولى هي رسالة إلى كبير الخصيان وهي رقم ٢، ثم رسالة فاطمة زوجة أوزبك وهي الرسالة السابعة. (المترجم)

والرسائل الفارسية هي أيضاً قصة شهوانية مثيرة عن الانفعالات الجنسية المحبطة، وكلما واصل الفيلسوفان الفارسيان رحلاتهما قارنا بين المحرمات الجنسية وعادات الغرب بما لديهما من عادات ومحرمات، ولسوء الطالع كلما طالت رحلات الفارسيين، زادت الاضطرابات بين الحريم الشرقي في سراء السلطان.

ولقد رأى مونتسكيو بوضوح كيف أن نظام الحريم كان ضرباً من الاستبداد، ومن ثم فهو مسألة غير طبيعية، فهو يفسد جميع العملاء، إذ يبحث الخصيان عن تعويض عن حرمانهم الجنسي بأن يشبعوا شهوتهم إلى السلطة، فبعد أن قامت «روكسانا» بقتل نفسها في باريس بأن شربت السم - وهي الزوجة الأثيرة المفضلة عند أوزبك - كتبت تقول في رسالتها الأخيرة أنها قد خدعت في زوجها الطاغية.





لقد بيعت قصة مونتسكيو كما تباع الحلوى، فطبع منها عشر طبعات في عام واحد، وحظي مونتسكيو الذي كان قد تزوج عام ١٧١٧ بنجاح اجتماعي وغرامى ملحوظ.

تابعت نموذج أوزبك وريكا
وسافرت في جولة حول أوروبا بما
في ذلك إنجلترا.



في عام ١٧٢٦ باع منصبه البرلماني ، وقرر أن
يكرس نفسه لكتابة أكثر جدية، وفي عام ١٧٤٨ بعد
صراع مع العمى والصعاب المالية نشر كتابا من
أعظم المؤلفات السياسية تأثيرا في القرن الثامن عشر
هو «روح القوانين» ثم كان له أثر أكبر فيما بعد.

فولتير يفر إلى إنجلترا

فرانسوا ماري آرويه (١٦٩٤ - ١٧٧٨) الذي كان يحمل بعد ذلك اسم فولتير الذي ولد كأحد عامة الناس في باريس وتلقى تعليمه على يد الجزويت، وتمتع بنجاح أدبي في فترة مبكرة من حياته نظراً لكتابة تصوره لمأساة «أوديب» وملحمة «الهنرياد» التي تروي أساطير هنري الرابع ملك فرنسا المتسامح، ولقد منح فولتير لذلك معاشاً من الملك لويس الخامس عشر، ومن الملكة، ومن دوق أورليانز، إلا أن فولتير اشتهر كذلك بقصائده الهجائية المقذعة من كل لون، فقضى بسبب ذلك ما يقرب من عام في الباستيل

في ١٧١٧ ، ولقد كان
فولتير من الجرأة بحيث
يتحدى أحد
الأرستقراطيين - وهو
الفارس دي روهان - وهو
ham - لمنازلته.

ولما كان الفارس يشعر أن مثل
هذا اللقاء أدنى من مستواه،
فقد أرسل الفارس خدمه
ليضربوني، ويبدو أن توسلاتي
لللقاء عادل لم تلق سوى آذان
صماء، وقام الأصدقاء
الأرستقراطيون للفارس بضم
الصفوف



ولقد أفتق ذلك فولتير بضرورة الهرب من البلاد، فهبط إلى إنجلترا ٤ مايو عام ١٧٢٦ ليبدأ فترة سنتين ونصف من النفي الاختياري.

رسائل عن إنجلترا

لقد كانت الرسائل الفارسية تقدم فقط هجوما غير مباشر، وتلقى الضوء على مؤسسات وأعراف المجتمع الفرنسي، وعاملها الكثير من قرائها الأرستقراطيين على أنها سلسلة من المزاح، وكان مونتسكيو - قبل أى شيء آخر - «واحدا من هؤلاء»، أما فولتير فقد كان على العكس فرداً من عامة الشعب كتب ملاحظاته الخاصة كرحالة في المنفى، ولقد نشر كتابه «رسائل عن الأمة الإنجليزية» عام ١٧٣٣، وظهر في فرنسا تحت عنوان «الرسائل الفلسفية» في السنة التالية.

لقد استخدمت النموذج الإنجليزي للهجوم على النظام الفرنسي: الفشل وسوء الاستخدام الفرنسي، ولقد أذهلني مدى التسامح الديني، بصفة خاصة في إنجلترا وليبرالية السياسة في التجارة الإنجليزية وقوة العلم والفلسفة في إنجلترا.

وصفت رسائل فولتير بأنها أول قنبلة تلقى على النظام القديم، وظهرت طبعات خفية في فرنسا، وصدر الأمر باعتقال «فولتير»، وأحرق الكتاب رسمياً، وحرم بيعه تجريباً مطلقاً.



نظرة فولتير إلى الدين في إنجلترا

يبدأ كتاب فولتير عن الإنجليز بأربع رسائل عن «الكويكرز»^(١) وقد جذبته إليهم بساطتهم وبعدهم عن الدجماطيقية، وتجسيدهم العملى للقيم الروحية والأخلاقية، وعلى الرغم من أن فولتير سخر منهم سخريات رقيقة، فمن الواضح أنه تأثر بعمق بواقعة أن إيمان الكويكرز لم يحدده القساوسة.

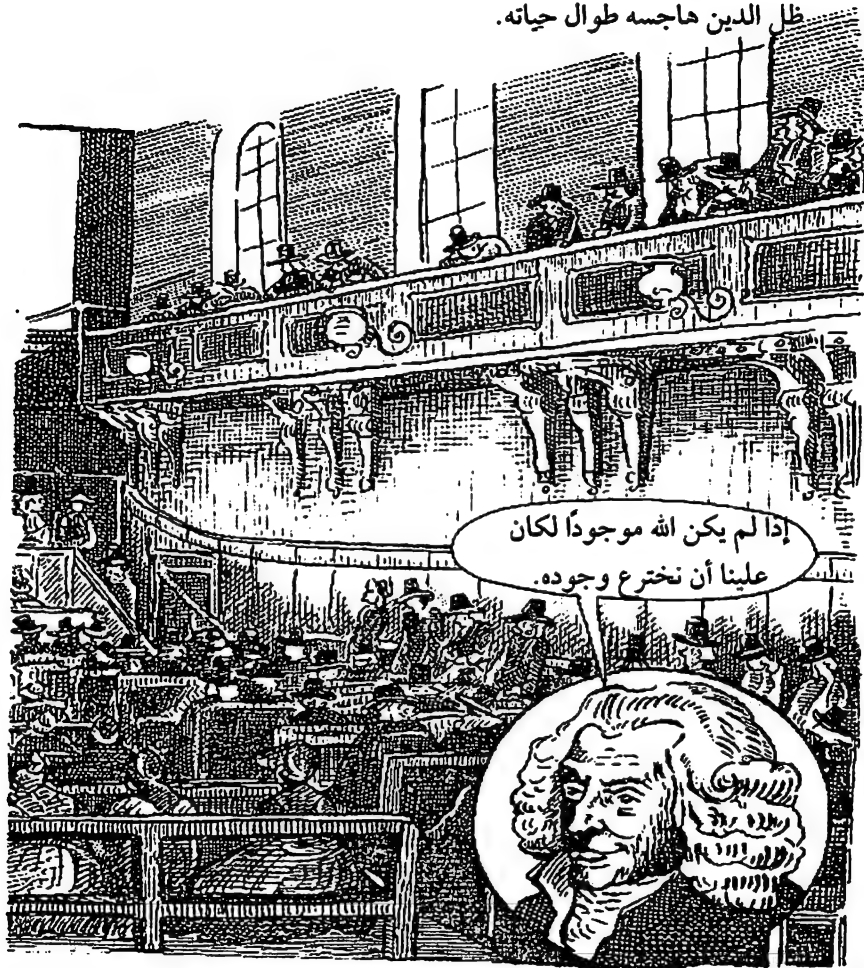
على ذلك ليس
لديكم قساوسة؟

كلا يا صديقى، ونحن جميعا
أهل لها. فقد حرم علينا الله أن
نلقى أوامر لآى إنسان، أن نلقى
الروح القدس يوم الأحد، وأن
نستبعد الآخرين من الإيمان.



(١) أو جماعة الأصحاب: فرقة بروتستانتية أسسها في إنجلترا حوالى عام ١٦٥٢ جورج فوكس Fox احتجاجا على تسلط الدولة على الكنيسة، يعرفون أيضاً بالمرتعبين أو المرتجفين من عبارة فوكس «ارتجفوا لكلمة الله»، أو ربما بسبب اهتزازهم من نشوة الانفعال الصوفى فى أثناء العبادة. (المترجم)

لقد خصص فولتير رسالة لكل من: الأنجليكان^(١)، والمشيخية^(٢)، و فرق دينية أخرى صغيرة، ولقد ظل فولتير طوال حياته معارضا لا يكل ولا يمل لتعصب الكنيسة الكاثوليكية، لكن ذلك لا يعنى أنه كان هو نفسه لا يكثرث بالدين، بل على العكس لقد ظل الدين هاجسه طوال حياته.



إذا لم يكن الله موجوداً لكان
علينا أن نخترع وجوده.

(١) الكنيسة الأنجليكانية Anglican : كنيسة إنجلترا الرسمية يرأسها كبير أساقفة كانتربري، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية عندما سحب الملك هنرى الثامن اعترافه بسلطة البابا وأعلن نفسه رئيساً أعلى لكنيسة إنجلترا عام ١٥٣٤ . (المترجم)

(٢) الكنيسة المشيخية Presby Terians : كنيسة بروتستانتية يدير شؤونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية، وكان كالفن Calvin أول من دعا إلى الأخذ بهذا الأسلوب في إدارة الكنيسة. (المترجم)

حرية الضمير والروح التجارية

كانت إقامة فولتير في إنجلترا تنقطعها فترات قصيرة يعود فيها إلى فرنسا لرعاية مصالحه التجارية؛ لقد كان فولتير باستمرار رجل أعمال ثاقب النظر، كما كان مضارباً في سوق الأوراق المالية، ومن هنا كان في استطاعته أن يجمع القدر الكافي من المال من مغامراته التجارية، لتأمين استقلاله العقلي، ولتمويل أسلوب حياة رقيقة متأقفة، «التجارة التي أثرت المواطنين الإنجليز، قد ساعدت في جعلهم أحراراً، وساهمت في خلق عظمة الأمة».

اذهب إلى سوق الأوراق المالية في لندن وهو مكان أشرف من أماكن كثيرة في البلاط الملكي، وسوف تجد ممثلين من جميع الأمم يجتمعون لتنمية الرخاء البشري، فيها هنا: اليهودي، والمسيحي والمسلم، يتعامل الواحد منهم مع الآخر، كما لو كانوا من ديانة واحدة، والأشخاص الوحيدون الذين يعتبرونهم ملاحدة هم المفلسون...!



عن البرلمان

«الأمة الإنجليزية هي الأمة الوحيدة على ظهر الأرض التي نجحت في السيطرة على سلطة الملوك عن طريق مقاومتهم بجهد وراء جهد حتى أقامت في النهاية هذا النظام الرفيع من الحكومة، الذي يكون فيه الأمير، رغم أن لديه كل السلطة لفعل الخير والصالح العام، فإن يديه مغلولتان عن فعل الشر، وهو نظام أصبحت فيه الطبقة الأرستقراطية عظيمة بلا عجرفة وبلا تابع للسيد الإقطاعي، وفيه يشارك الشعب الحكومة دونما خلط أو اضطراب».

ويسخر فولتير من التصرفات المثيرة للضحك في مجلس العموم، ومن أوجه القصور الأخرى في الممارسات في السياسة الإنجليزية، لكنه كذلك يعلن بوضوح إعجابه بالنظام السياسي الإنجليزي وما فيه من ملكية دستورية مقيدة.



وتطورت إنجلترا بالتدريج نحو المساواة أمام القانون، ونظام الضرائب الذى لا يُعفى منه إنسان، (وبعد بضعة عقود كان إعفاء الطبقة الأرستقراطية، وطبقة رجال الدين من الضرائب فضيحة أشعلت نيران الثورة الفرنسية).



لا يُعفى إنسان قط هنا من دفع ضرائب معينة لأنه - ببساطة - أرستقراطى أو من رجال الدين .. فأنت لن تسمع هنا عن عدالة عليا ومتوسطة وسفلى .
لقد بدأ مستر شبنج منذ فترة ليست بالبعيدة فى الحديث عن مجلس العموم بهذه الكلمات: «ملك الشعب الإنجليزى لا بد من أن يصاب .. إلخ»، ولقد أحدث هذا التعبير الغريب عاصفة من الضحك لكنها لم تكن مربكة على الإطلاق، فكرر الكلمة نفسها فى نبرة حاسمة، ولم يعد ثمة أى ضحك.

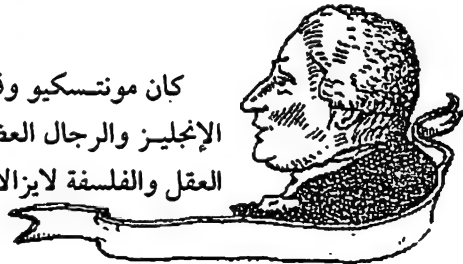
القديسون الرعاة فى عصر التنوير

كان القديسون الرعاة فى عصر التنوير فى إنجلترا ثلاثة من الإنجليز هم: بيكون، ونيوتن، ولوك، ولقد خصص فولتير معظم رسائله الفنية الجادة لهؤلاء الثلاثة. كما أن ديدرو، ودالمبير قاما بإهداء الموسوعة إليه.



أمر توماس جيفرسون (١٧٤٣ - ١٨٢٦) فى عام ١٧٨٩ أن يوضع فى مكتبته صور لهؤلاء الثلاثة. لقد وضعوا الأساس فى علوم الفيزياء والأخلاق لعصر الحداثة، هؤلاء الرجال أعظم ثلاثة عاشوا بلا منازع.

كان مونتسكيو وفولتير من تلاميذ وأتباع الفلاسفة الإنجليز والرجال العظام فى إنجلترا، بدون الإنجليز كان العقل والفلسفة لا يزالان فى طفولتهما الكريهة.



فردرش ملكيور فون جريم (١).

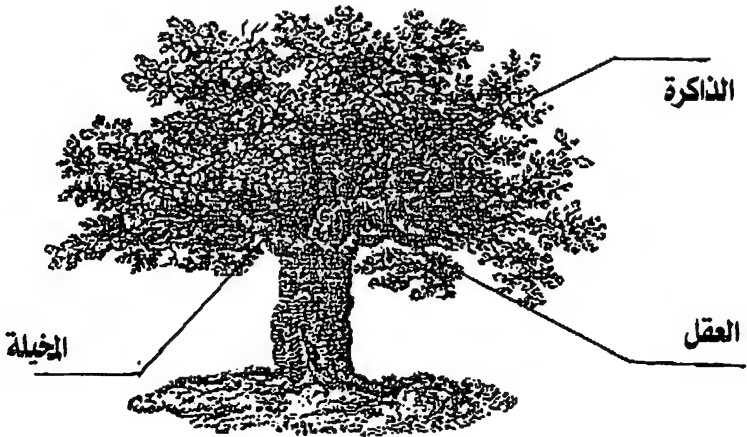
(١) فردرش فون جريم (١٧٢٣ - ١٨٠٧): مفكر ألماني وناقد أدبي رحل فى عام ١٧٤٨ إلى باريس معلماً خصوصياً فى خدمة دوق أورليانز (١٧٥٥) حيث تطورت علاقاته بديدرو - ومدام «بيناي»، وروسو». (المترجم)

أبو الفلسفة التجريبية

كان فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) هو السلف العظيم لجون لوك في التراث التجريبي، وهو فيلسوف وسياسي إنجليزي، اعترف به على نطاق واسع على أنه «أبو الفلسفة التجريبية».



دافعت عن إصلاح عظيم في المعرفة يقوم على الملاحظة المباشرة، رفضا للعبادة العمياء للسلطة، لصالح عالم التجربة الحسية المباشرة.
كان ييكون يشبه أقسام المعرفة بأفرع الشجرة، والأفرع الرئيسية في شجرة المعرفة هذه مستمدة من الملكات الرئيسة في الذهن: الذاكرة، والمخيلة، والعقل.
الذاكرة: مصدر المعرفة التاريخية. المخيلة: مصدر الشعر. العقل: مصدر الفلسفة.



السياسة عند جون لوك

تد تأثير لوك بحيث جاوز الفلسفة، فكتاباتة فى السياسة ألهمت أيضاً المصلحين التنوير من أمثال: ديدرو، وجيفرسون، وآخرين. عاد جون لوك من منفاه فى هوطة كتابه «رسالتان فى الحكومة»، وكتاب: «مقال عن الفهم البشرى» وقد نشر ١٦٩٠.



ضاً الشعب وموافقته هما الأساس الوحيد لسلطة الحكومة، وليس للحكومة بآخر يجاوز ذلك الواجب الذى من أجله أقيمت فى البداية وهو: المحافظة ، والحرية، والملكية.

يذهب لوك إلى أن الأمير (أو «أى شخص وارث فرد») عندما يستخدم سلطة تعسفية، بدون موافقة الشعب، عندئذ يكون من حق الشعب الدفاع عن نفسه فى ذلك تبرير للتمرد^(١) لمواجهة الاستخدام التعسفى أو الاستبدادى له.

٣

تبرير يأخذه جون لوك من كلمة التمرد نفسها التى تعنى بالإنجليزية Rebellion وهى نرب من جديد، فهى مأخوذة من اللاتينية Bellum بمعنى الحرب والمقطع .. Re من جانب أن الحاكم يعلن الحرب على الناس فيردون عليه بالتمرد أو بالحرب من جديد. (المترجم)

إسحاق نيوتن

الإنجازات العلمية التي قام بها إسحاق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) كانت هائلة، كان الحساب - حساب التفاضل والتكامل - وسيلة رياضية قوية طورها نيوتن كما طورها جوتفريد فلهلم فون ليبنتز (١٦٤٦ - ١٧١٦) ولقد عرف علم الديناميكا الجديد في تحفته الكبرى أو كتابه الرئيسي «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية»، الذي صدر عام ١٦٨٧ موفقًا بين دراسة كبلر لحركة الكواكب ودراسة جاليليو للحركة الأرضية. لقد قدمت أوصافًا رياضية محكمة لنظام الكون وحركة الكواكب، واقترحت قانونًا

كليا عاما للجاذبية، كما ذهبتُ إلى أن الفضاء الذي تسبح فيه الكواكب لا متناه.

وفي عام ١٧٠٤ صدر الكتاب العظيم الثاني لنيوتن وهو كتاب: «البصريات» الذي عرض فيه لنتائج عن طبيعة الضوء، وينتهي بمجموعة من التخمينات والحدوس والاستفسارات ألهمت البحث العلمي طوال القرن الثامن عشر.



نيوتن للمبتدئين

لقد جذبت أعمال نيوتن جيشاً من المروّجين والمبسطين للمعلومات، منهم فولتير ليس في الرسائل عام ١٧٣٣ فقط، بل أيضاً في كتابه «أصول فيزياء نيوتن» الذي ظهر عام ١٧٣٨.

ولقد قامت صديقتي المركيزة
إميلي دى شاتيليه بترجمة
نيوتن إلى الفرنسية.



وكثير من هذه الروايات الشعبية تصور الكون يعمل بطريقة
آلية أكثر مما كان نيوتن نفسه يحب أن يصوره، وذهبوا إلى أن نيوتن
يصور الكون المخلوق كله على أنه نسق مرتب ينظم نفسه.



من الواضح أن جمال الصيغة الرياضية عند نيوتن، وقوانين الحركة - وما إلى ذلك -
فى أنها تقدم نظرة أشد بساطة للكون مما أراد نيوتن فى الحقيقة.
والواقع أن الجاذبية نفسها كانت قوة غامضة.
أما الإنتروبيا Entropy فقد عرفها نيوتن بأنها خاصية الأنظمة المغلقة.
(الإنتروبيا هى ميل النسق المغلق إلى النقصان، حتى يفقد كل طاقة، ومن ثم كل
عضوية).

ولقد شعر نيوتن نفسه بأنه قد أظهر ضرورة وجود السبب الأول، حتى أصبح شيئاً

فشيئاً متورطاً فى «الخيمياء» (الكيمياء
القديمة) وغيرها من البحوث التى نعتبرها
اليوم «صدفية» غامضة.

كنت أشبه بالطفل الذى يلهو على
شاطئ البحر، أسلي نفسه من وقت إلى
آخر بأن أعثر على حصة أشد نعومة، أو
صدفة لطيفة أكثر من المؤلف، فى حين أن
محيط الحقيقة العظيم أمامى لم يكتشف
بعد.



نيوتن: النموذج

كانت إنجازات نيوتن على درجة كبيرة من التقدم حتى إنها دفعت علم الفيزياء والعلوم الطبيعية خطوات إلى الأمام، لدرجة أن الكتاب في معظم حقول المعرفة الأخرى حاولوا تعميم هذا المثال واتخذوا من نيوتن نموذجاً، فكان مثلاً للعالم الحق. وبعد وفاة نيوتن بفترة قصيرة قام جى. تى. ديزجليرز^(١) بالترويج لآراء نيوتن في دائرة واسعة، وتنبأ بأوسع تطبيق ممكن لآراء نيوتن على القصيدة وكتب «نسق نيوتن

للعالم: أفضل حكومة ممكنة» وكان قولتير يأمل أن يأتي يوم تنقل فيه مناهج العلوم الطبيعية لتطبق في مجال التاريخ.



إن ما حدث في علم الفيزياء، ربما يطبق قريباً في كتابة التاريخ، إننا نريد أن نعرف البشرية في تفصيلاتها المثيرة التي تشكل اليوم أساس الفلسفة الطبيعية.

(١) ديزجليرز (جون تيوفليس ١٦٨٣ - ١٧٤٤): مخترع إنجليزي ومحاضر شعبي في الميكانيكا والبصريات. (المترجم)

فلاسفة التنوير

مونتسكيو، وفولتير، وديدرو، وروسو، وبوفون^(١) وكوندياك، وتورجو^(٢)، وكوندورسيه، وهولباخ، ومورليه^(٣)، وهلفتيوس، وجريم، ورينال^(٤).

بدأ الرجال الذين يشكلون «مملكة الأدب» واضعين مثال مونتسكيو وفولتير أمامهم، بدأوا في إظهار ثقة جديدة بالنفس مع الاستعداد للقتال.

فقد ليس بمقاهيها ونواديها، وصحفها ومن فيها من باعة الكتب، انبثق نسل جديد هو الفلاسفة.



(١) بوفون Buffon (الكونت جورج لويس ١٧٠٧ - ١٧٨٨): كاتب وعالم طبيعة فرنسي، أشهر

أعماله «التاريخ الطبيعي العام والخاص» وهو يقع في ستة وثلاثين مجلداً (١٧٤٩ - ١٧٨٩)، له

نظرات في الأساليب الأدبية، ذهب فيها إلى أن الأسلوب مرآة عقل المرء. (المترجم)

(٢) تورجو (آن رويبر جاك: ١٧٢٧ - ١٧٨١): سياسي وعالم اقتصاد فرنسي ووزير المالية (١٧٧٤ -

١٧٧٦) في عهد لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء المدرسة الفيزيقراطية التي دعت إلى

إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد. (المترجم)

(٣) مورليه (أندريه ١٧٢٧ - ١٨١٩): عالم اقتصاد وأديب وفيلسوف فرنسي كان رائداً في حلقة

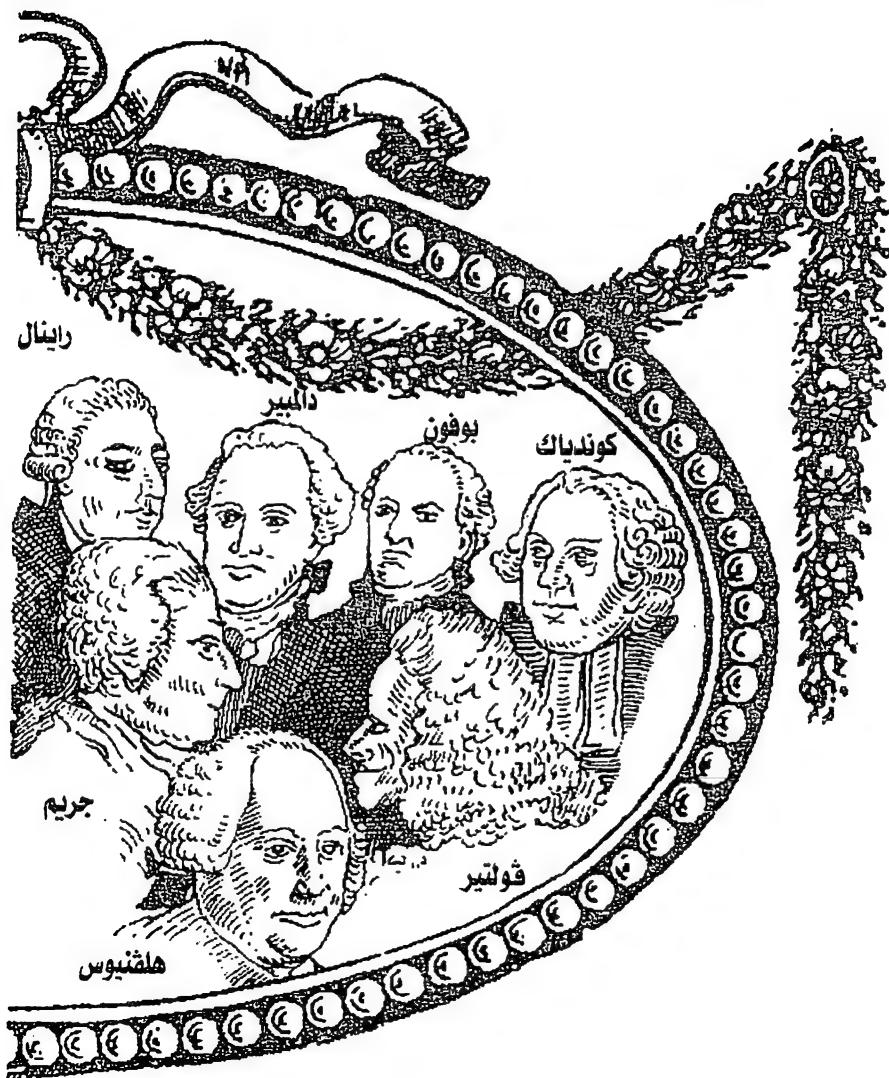
الفلاسفة، وقد اشترك مع ديدرو في إصدار الموسوعة. (المترجم)

(٤) رينال Raunal (جيوم توماس - فرانسوا ١٧١٣ - ١٧٩٦): مؤرخ وفيلسوف فرنسي، وكان يعد

رائداً بين المفكرين الأحرار في فرنسا، كتب تاريخ البرلمان الإنجليزي، وتاريخ الأرض الواطنة.

(المترجم)

كان فلاسفة التنوير من المثقفين، والأدباء لكنهم لم يكونوا من الفلاسفة المحترفين، وبالقطع لم يكونوا من الأكاديميين الذين يقبعون فى البرج العاجى، ولقد أحدث جو المناقشات والمنازعات والأفكار، والنضال والصراع .. فى باريس أفرز نخبة عصر التنوير أو الصفوة من المفكرين ، فيها هنا كان الجناح المكافح فى عصر التنوير يتركز على: التفكير، والكتابة، والمناظرة، والمنازلة بين بعضهم البعض، وبين العالم.



كان فلاسفة التنوير كهنة وجنود ورجال الدعاية لروح العقل الجديد، والتسامح والتقدم، أصدر قولتيير صيحة نداء تحثهم على الاتحاد.



إلا أن العقل العبقري المنظم حقاً للحركة كان دينس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) ابن صانع سكاكين من الريف، الذي جمع أكثر العقول تطرفاً في عصره لخلق أعظم إنتاج تميز به عصر التنوير وهو: «الموسوعة».



وردّ أعداء هذا التطرف الجديد بغضب وارتباب: «نرجو فقط أن تقولوا لنا ماذا يعنى فيلسوف التنوير؟» هكذا تساءل الأب مولينيه.

ضرب من الحيوان المتوحش فى المجتمع الذى لا
يشعر بأى التزام نحو عاداته وأخلاقه، وخصائصه
وسياسته، أو دينه، ويمكن للمرء أن يتوقع أى شىء
من أناس على هذه الشاكلة.



الموسوعة تشرح ماذا يعنى فيلسوف التنوير.



هو الشخص الذى يسحق الأحكام
المبتسرة، والتراث، والموافقة الجماعية،
والسلطة باختصار ما يستعبد العقول، وهو
الذى يجزئ على أن يفكر لنفسه، وأن يعود
إلى الخلق ويبحث عن أكثر المبادئ العامة
وضوحًا، ولا يسمح بشىء ما عدا شهادة
عقله وتجاربه.

المرأة المستنيرة

فلاسفة عصر التنوير كانوا إخوة، مجموعة متألفة من الرجال، فقد كانت مستبعدات من النوادي ومقاهي البيوت الإنجليزية تقريبا (رغم أن الغواني بعيدات تماما)، أما في فرنسا فقد كانت أماكن اللقاءات الرئيسية هي الصالونات.



لقد كان مؤسسة تعمل للرعاية، بقدر ما تعمل للعواطف الجنسية، في عصر ك الانفعالات العقلية والجنسية منفصلتين في المجال المنزلي الخاص بالفرد.

كانت الحياة العقلية والاجتماعية في فرنسا أقل كثيراً من أن تكون شأناً من نور، إلا أن التفكير كان لا يزال إلى حد كبير وظيفة الغلمان، لقد أشاد ديدرو كمحاورات (أو مستمعات جيدات) في تشكيل العادات العقلية لهذا العصر



نت الصالونات تعقد في بيوت فلاسفة التنوير من أمثال البارون هو بوس، أما جميع صالونات باريس الأخرى فقد كانت تديرها نساء من أمثال ، ومدام جيوفرين، ومدام دي إسبيناس ومدام نيكر، وكان الأمر يتطلب قدرة و الكياسة لإدارة الصالون بنجاح، وتحظى باحترام المثقفين والمؤلفة ب الأمزجة المتقلبة، ولقد تجمع جيش الموسوعة الصغير لأول مرة في صالون

ن.



سيدات مستنيرات

لم يكن يكفي أن تلعب المرأة دور المضيفة صاحبة الدعوة في أحد الصالونات، فليست هذه هي الطريقة الوحيدة التي تشارك بها في نشاط وإيجابية في الاختمار والقلق العقلي في ذلك الوقت، فقد كان هناك بين السيدات المفكرات الرائدات نساء متميزات. مدام دي إيناي (١٧٢٦ - ١٧٨٣): كانت ضليعة الحجم، حيوية، هشة المنظر مع أعين بارقة، وقد سحرت فولتير وديدرو، وظلت لسنوات طويلة عشيقه فردرش مليكور جريم (١٧٢٣ - ١٨٠٧)، كما فتنت روسو أيضاً، رغم أنها كانت على وعى تام بحساسيته المرفهة وسرعة غضبه.



وفي عام ١٧٥٦ سمحت له أن
يعتكف في كوخ منعزل كان يعرف
باسم «إيرميتاج» في المقاطعة.

كانت مدام «دي إيناي» مساهمة غزيرة الإنتاج في صحيفة جريم Grimm «المراسل الأدبي» تمده بالمقالات الأدبية أو أخبار المسرح وعرض الكتب ومراجعتها، ومقالات في السياسة والاقتصاد والفلسفة، وكذلك أبيات من الشعر الخفيف، وخلال أسفار جريم كان يترك لها مع ديدرو مسئولية الصحيفة، وفي كتابها «مذكرات مدام دي مونتييري» جمعت معارضات أدبية ناقدة من المحادثات في حفلات العشاء التي تمثل آراء وأفكار وأحياناً الكلمات العقلية، لفلاسفة التنوير.

كانت المركيزة إميلي دي شاتيليه (١٧٠٦ - ١٧٤٩) رفيقة فولتير لسنوات ط
وقد التقيا عام ١٧٣٣ عندما كان فولتير فى التاسعة والثلاثين من عمره وهى فى ال
والعشرين، وكانت قد تزوجت لمدة ثمانى سنوات وأماً لثلاثة أطفال، وكانت ،
ناضجة مكتملة مثقفة للغاية.



لم تترجم مدام دي شاتيليه «نيوتن» فقط إلى الفرنسية، كما عملت مع فولتير، بل كتبت بطريقة مستقلة تماما مقالات موضوعات علمية.



في سن الثالثة والأربعين كان لها عشيق جديد هو المركيز دي سانت لامبير وكان في السابعة والعشرين من عمره وقد حملت منه، وعلى الرغم من رعاية فولتير لها فقد ماتت بعد الولادة بوقت قصير، وقد حزن عليها فولتير حزنا شديدا وقال: «لقد فقدت من ظلت صديقة لي طيلة خمسة وعشرين عاما. رجل عظيم: عيبه الوحيد أنه كان امرأة!».

القارئ والرقيب

لمن كان يكتب فلاسفة التنوير؟ كانوا يكتبون - في المقام الأول - لزملائهم من الفلاسفة، في شبكة الثقافة العالمية، لكنهم أرادوا كذلك نشر أنوارهم إلى جمهور عريض متنام من القراء.

كان لقراءنا شهية هائلة لأن يتعلموا عن طريق الملخصات، فنحن في عصر «مختارات للقارئ» والمعاجم، والكتب للمبتدئين، وهناك أيضاً جهود مضيئة في الكتب غير المشروعة التي تغذي الذوق بالأدب المكشوف، والفضائح والغواية. وقبل كل شيء فهذا هو عصر الإباحية.

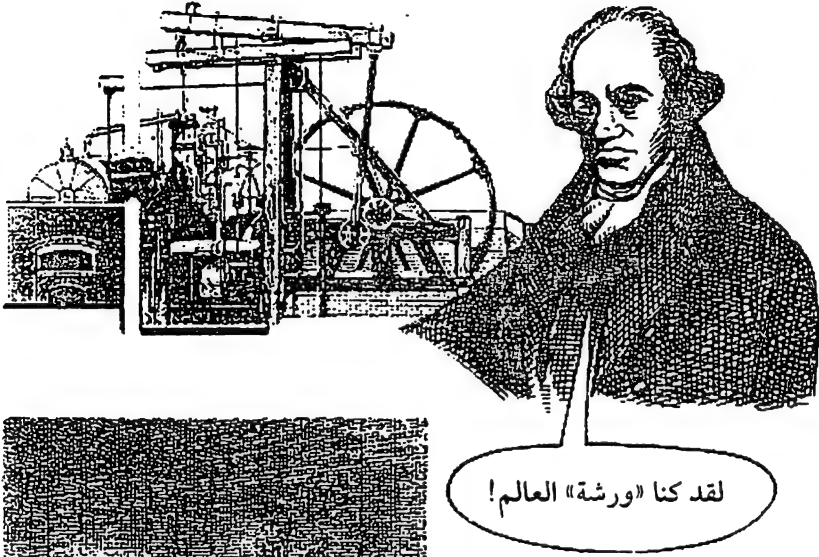
أما في فرنسا فقد استطاع الجمهور الحلال أن يحرق الكتب الممنوعة أو ينتهي بالناشرين أن يصبحوا رقيق سفينة^(١).

كانت الرقابة غائبة في إنجلترا وهولنده في حين أنها ظلت تشكل خطراً على الحياة العقلية في بقية أوروبا، وكان النشر (الذي يقوم به في العادة باعة الكتب) يتطلب تصريحاً قانونياً من وزير العدل، وسرعان ما تعلم قضاة فرنسا أن حرق الكتب يروج بيعها؛ لهذا كانوا يفضلون مصادرة الكتب وسجن باعة الكتب مع غرامات قليلة بقدر المستطاع.

(١) رفيق السفينة Galley - Slaver هم العبيد الذين حكم عليهم بالتجديف طوال حياتهم في إحدى السفن. (المترجم)

الصناعة والعلم

الإبداعات العلمية فى تكنولوجيا الصناعة كثيرا ما كان يقوم بها مهندسون ارتبطوا بعصر التنوير فى إسكتلندا من أمثال جيمس واط J. Watt (١٧٣٦ - ١٨١٩) الذى ابتكر آلة بخارية فعالة، كما ابتكر وحدة «قوة الحصان» أو «القدرة الحصانية». ولقد بدأ عصر الآلة البخارية عندما تحالفت قوة البخار مع مسابك الحديد فى حقول الفحم فى منطقة «دربى شير» وهى التى وضعت بريطانيا فى مركز الثورة الصناعية.



أدرك القراء المتعلمون أهمية التجربة العلمية - ووضع الأفكار موضوع الاختبار عن طريق التجربة، إلا أن الثقة الزائدة بالعلم أدت حتى بأعظم الحكماء إلى الظن بأن التقدم سرعان ما يؤدى إلى يقين مطلق. لقد كان القرن الثامن عشر من زوايا كثيرة سهل الانخداع بطريقة مرعبة، عصر الأشخاص الخياليين، وأشبه العلماء والدجالين من أمثال فرانز مزمير (١٧٣٤ -

١٨١٥) الذى ادعى أنه يستطيع علاج الأمراض بقوة «الجاذبية الجنسية».

الموسوعة

أعظم ما يتميز به عصر التنوير، والأثر الباقي لهذا العصر هو الموسوعة، وقد كان ذلك في الأصل بتفويض لترجمة ومراجعة «موسوعة إفرام تشامرز» التي نشرت لأول مرة في أدنبره عام ١٧٢٧.

وبعد أن أفلح الناشر الأول قام على أمر المشروع بنجاح دينس ديدرو و جان لوروند دالمبير (١٧١٧ - ١٧٨٣).



المجلد الأول من «الموسوعة أو من المعجم التحليلي للعلوم والفنون والحرف» ظهر عام ١٧٥١، ولقد استغرق الأمر عشرين سنة لإتمام الموسوعة، واشتملت في النهاية على ما يقرب من ٢٧٠٠٠ مادة مدرجة و ٢٥٠٠ صورة محفورة.

احترم اسم دامبير كثيرا بسبب شهرته كعالم رياضيات، وإن كان ديدرو هو باستمرار الذى يعمل معظم العمل كما نجح ديدرو فى أن يجمع حوله مجموعة لامعة من المتعاونين تشمل عددا من فلاسفة التنوير من أمثال: مونتسكيو، وفولتير، وشارل دى كلوز، وروسو، وصموئيل فورمى، وهولباخ، ومورليه، وأندريه توفيل دى بوردو، وچاك دى فوكانسون.

القدر، بل حتى أكثر، ضرورات الحياة تفعل بنا ما نشاء، فمن ذا الذى يكون على وعى بذلك أكثر منى؟ لهذا السبب فقد كرست نفسى ضد ميولى، لحوالى ثلاثين سنة للموسوعة فى حين أننى لم أكتب سوى مسرحيتين.



ثم بعد ذلك ساعده بمهارة واقتدار مهتد جديد للقضية، وهو رجل لا يعرف للتعب معنى: «شفاليه دى جاكور» (١٧٠٤ - ١٧٩٩) الذى كتب - مثل ديدرو - مئات من المقالات، وراجع أعمال جيش من الكتاب الأجورين الذين اشتركوا فى المصنف.

شجرة المعرفة

أعلن دالمبير في مقاله الافتتاحي في الموسوعة أنه يقدم للقراء نظرة شاملة لكل أفرع المعرفة المختلفة، وعلاقة الواحد منها بالآخر على شكل شجرة أنساب، ولقد أسسه بناء على الرسم التخطيطي الذي قدمه بيكون، وقد تبنته «موسوعة تشامرز»^(١).



لكن لا مجال لأى شىء لا يصل إلى العقل عن طريق الحواس، وهبطت النظريات التقليدية للكنيسة إلى فرع صغير جداً من شجرة المعرفة.

(١) أو القاموس العالمى للفنون والعلوم الذى نشر فى أدنبره عام ١٧٢٣. (الترجم)

من هم عظماء التاريخ؟

اقتبس دالمبير من قاضى القضية فرنسيس بيكون على عهده، وقدم قائمة جديدة للتاريخ ظهر فيها أن «عظماء التاريخ» لم يكونوا الملوك أو الغزاة الفاتحين، بل العلماء والفلاسفة.

وقدم دالمبير قائمة قصيرة عن أعظم عظماء التاريخ: بيكون، وديكارت، ونيوتن، ولوك، لكنه قدم أيضاً قائمة مختصرة للقادة من العلماء والفلاسفة تشمل: جاليليو، وهارفى، وهيوجنز بسكال، وفونتينيل، وبوفون، وكوندياك، وفولتير، ومونتسكيو، وروسو.

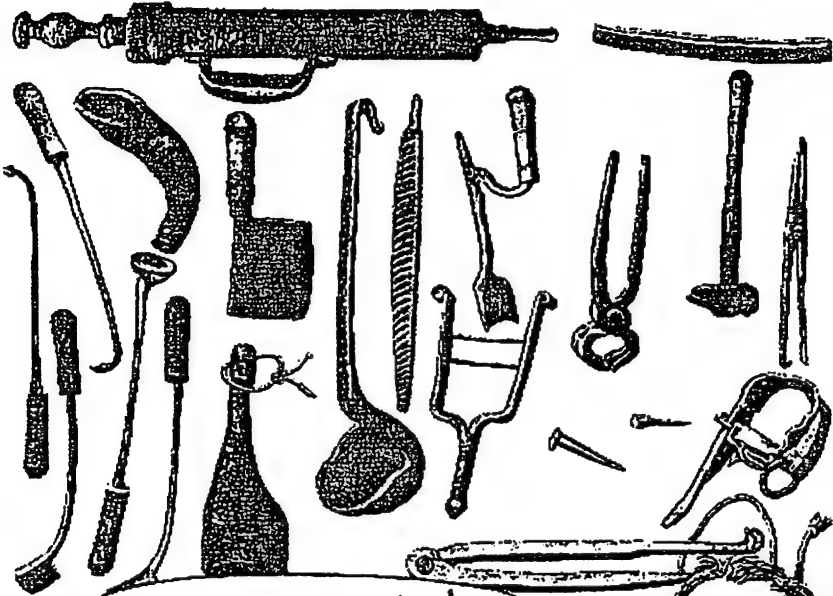


«المقال التمهيدي زاحر بالاستعارات البطولية العنيفة: كسر الأغلال، وتمزيق النقاب، وتدمير النظريات، واقتحام الحصون ... وعلى فلاسفة التنوير القيام بدور بطولي، وسواء أكانوا مضطهدين أم محترقين فهم يقاتلون بمفردهم، ويناضلون من أجل الأجيال المقبلة الذين سوف يعترفون لهم بالفضل الذى حرّمهم منه معاصروهم». روبرت دارنتون، الفلاسفة يعلّمون شجرة المعرفة.

أهمية الحرف أو التجارة

إحدى الطرق التي مارست الموسوعة بسببها تأثيراً عظيماً تشير إليها الكلمة الأخيرة في عنوانها وهي «الحرف Métiers»، لقد شرعت الموسوعة في إنصاف ليس الفنون والعلوم فقط، بل أيضاً الحرف ومهارات التجار والصناع.

لقد كان دريدو نفسه - وهو ابن صانع السكاكين - مسئولاً مسئولية كبيرة عن مكونات هذا المشروع، لقد سافر وعبر فرنسا ليلتقى بالصناع والحرفيين وليتعلم طرقهم.



أقنعتُ بعضاً منهم أن يعيدوا تجميع معداتهم من
أجلى في باريس حتى يمكن إعداد رسومات دقيقة
على لوحات للعديد من المجلدات.



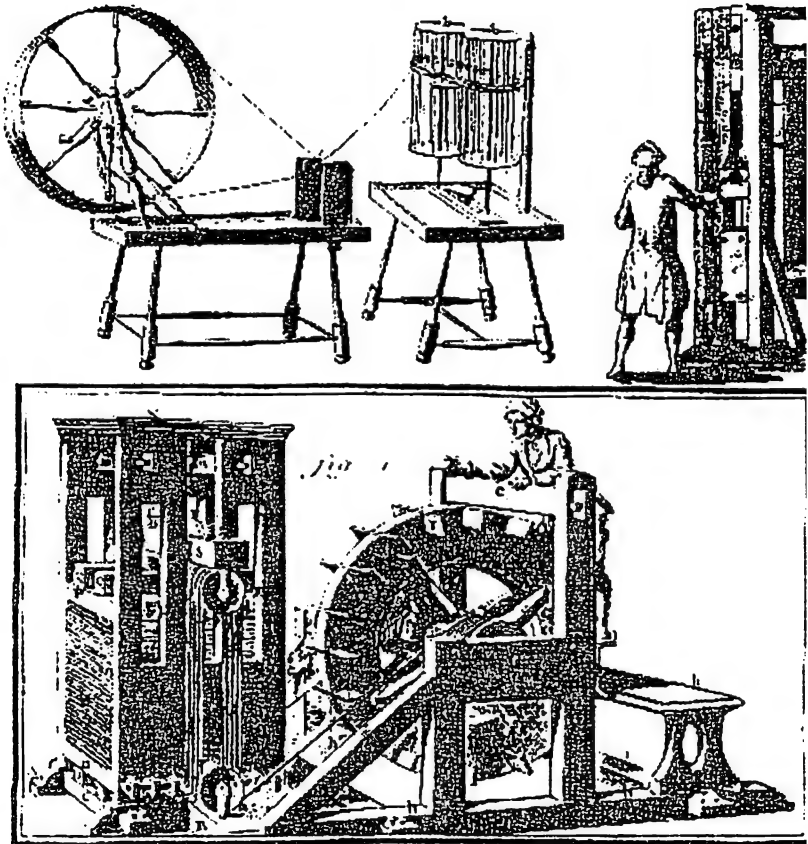
في مقاله عن علم الرنوك Heraldry^(١) وهو يرتبط بوساوس الأرستقراطية لاحظ الرجل النبيل شيفاليه دي چاكورت أنه لا توجد نشرة واحدة عن فن صناعة القمصان، والجوارب، والأحذية، والخيز، وكانت الموسوعة هي العمل الأول والفريد الذي وصف هذه الفنون والصناعات المفيدة للإنسان، في حيت إن كتاب التجارة زاخر بالكتب عن العلم العابت السخيف عن شعارات النبالة.

(١) علم يتعلق بفن الشعارات وتصميمها لاسيما شعارات النسب. (المترجم)

الميتافيزيقا والآلات

فرقة التقليدية بين الفنون «الحرّة» والفنون «الآلية» كان لها تأثير سيئ في انحطاط النافعين جدا والمحترمين جدا، وكما لاحظ ديدرو «كم كان حكما غريباً .. لقد من هؤلاء الناس أن يتخطوا في أعمال نافعة ثم ازدربنا الناس النافعين».

لقد قارن ديدرو بين أعمال الآلة المعقدة بالنظام الميتافيزيقي المعقد، ولفت الأنظار إلى أنه التي ترسب بها المعرفة والتجارب البشرية في الآلات العملية.



أي نظام فيزيقي أو ميتافيزيقي نجد نجاحا وذكاء، واتساقا وتمييزا أكثر من لص الذهب، أو صناعة الجوارب، أو هياكل صانعي الضفائر، أو صانعي الشاش، الأقمشة، أو عمال الحرير...؟

ذروة النجاح

مجلدات الموسوعة باهظة الثمن خلبت ألباب المجتمع الراقي، وابتكر فولتير قصصاً ليوضح تأثير الموسوعة على الطبقة الأرستقراطية، بل على الملك نفسه. «في إحدى الليالي كان الملك يتناول طعام العشاء في تريانون (1) مع بعض أصدقائه المقربين، وتطرق الحديث إلى رياضة الصيد وإلى البارود...».

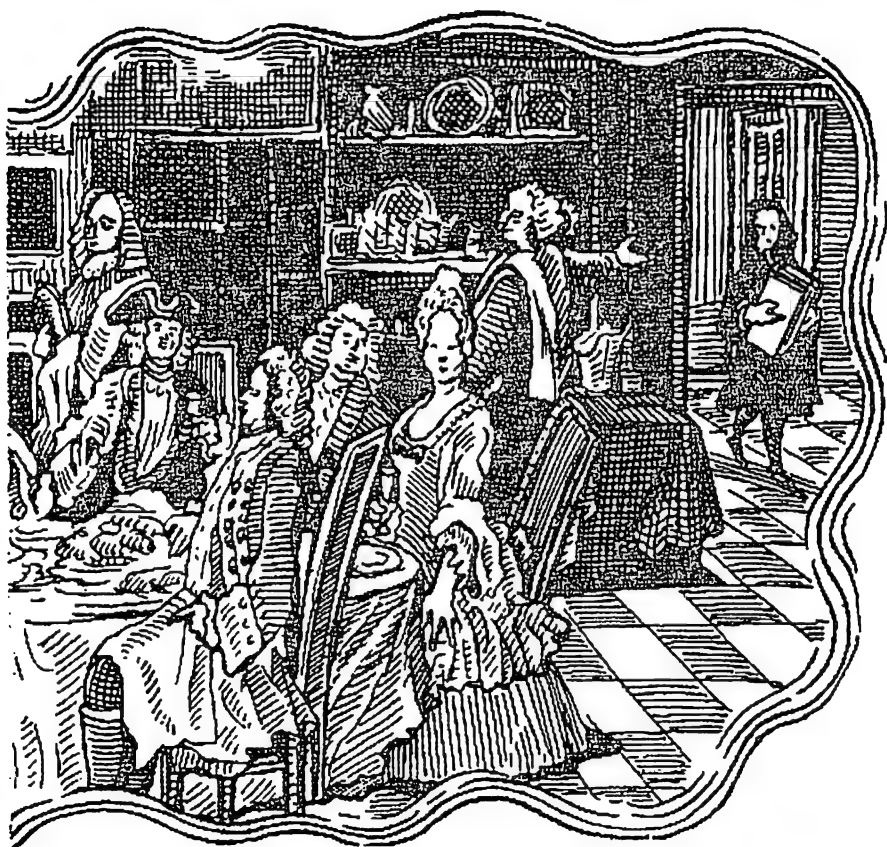


«كانت مدام دي بومبادور تجهل ما «الروج» الموضوع على خدها، كما تجهل الحرير المصنوع منه الجوارب التي تضعها على ساقها.

«لا يهم فسرعان ما نعالج المسألة، وفي لمحة كان خدام المنزل يهرولون لإحضار الموسوعة...»

(١) قصر صغير من قصور فرساي. (المترجم)

وفى الموسوعة تحت مواد: بارود، وروج (أحمر شفاه)، وغزل الحرير، كان هناك كل ما نحتاجه، وسرعان ما انقضى الجميع على مجلدات الموسوعة، وما هى إلا لحظات حتى وجدوا كل ما يريدون، ووجد أولئك الذين يفكرون فى القانون ما يريدونه تماماً من الناحية القانونية، أما الملك فقد أراد أن يعرف شيئاً عن الامتيازات الملكية. وبينما الكل مشغول على هذا النحو فى قلب الصفحات، صاح الكونت دى س.. بصوت مرتفع سمعه الجميع...



« سيدى: أنت حقاً محظوظ بأن يكون لديك فى منطقتك رجال قادرون على السيطرة على جميع الفنون وتناول المعرفة للأجيال القادمة، فكل شىء هنا من الطريقة التى يصنع بها الدبوس، إلى الطريقة التى تحشوها وتطلق المدافع، كل شىء من أفضال الأشياء إلى ما لا نهاية، إلى أكبر الأشياء إلى ما لا نهاية».

الهجوم على فلاسفة التنوير

لم يكن الترحيب بالموسوعة عاماً و كلياً، فقد واجهت مجموعة الفلاسفة التي تعمل بالموسوعة معارضة شرسة، فقد كتب المعارضون من أمثال: إيلي فريرون، وشارل باليسو، ويعقوب نيقولا مورو، مقالات وسخرات لاذعة، واتهم اليسوعيون الموسوعيين بالبيلاجية Pelagianism^(١). في عام ١٧٥٢ بعد نشر أول مجلدين من الموسوعة كانوا يقنعون الملك بمصادرتها.



وفي عام ١٧٥٧ أبلغ الصحفي "فريرو" الرقيب الأول ماليسيرب عن ديدرو.

.. وكان رأس الفتنة لمجموعة كبيرة؛ فقد كان رئيس جماعة متعددة تزداد وتتكاثر كل يوم عن طريق الدسائس والمؤامرات.



... عصابة من المنافقين الذين لا مبادئ لهم، استغلوا مجموعة من السيدات العاطلات الساذجات للترويج لمؤامرات ومخططات طنانة ومرعبة.

«وفي عام ١٧٦٠ كتب باليسو كوميدياً عنوانها «فلاسفة التنوير»، هجا فيها روسو بكلام ساخر ووصفه بالتوحش الذي يشبه القرد، كما سخر من هلفتيوس سخرية ميرة وكذلك من ديدرو، ودوكلوس».



(١) مذهب الراهب الإنجليزي Pelagius الذي ينكر توارث الخطيئة الأصلية. (الترجم)

أزمة عام ١٧٥٨

ترابطت ثلثة فلاسفة التنوير بطريقة ملحوظة أكثر عندما خضعت بصورة حقيقية للتهديد.

وفي عام ١٧٥٨ أسهم دالمبير بكتابة مقال من جنيف ذهب فيه إلى أن دولة المدينة - هذه المزدهرة - تحسن صنعا لو أنها رفعت الحظر عن المسرح داخل جدرانها، ويبدو أنه ذهب أبعد من ذلك وتساءل عن استقامة لاهوتى المدينة، مما نتج عنه إعجاب متزايد. أما برلمان باريس فقد حرّم الموسوعة.



«العاصفة التي هبت حول كتاب هلفتيوس «عن الروح» عام ١٧٥٨، والتحرير الذي صدر ضد موسوعة ديدرو في العام التالي، أدى إلى تلاحم فلاسفة التنوير في حزب، أكثر من صيحات قولتير الهستيرية ودعوته إلى الاتحاد. فالنقاد الذين حاولوا تدمير الحركة لم يفعلوا شيئا سوى تقويتها». بطرس جاي.

ماليشرب أو مسيو جيوم

كانت الموسوعة محظوظة إلى أقصى حد في هذه اللحظة من الأزمة التي تهددت المشروع كله؛ ذلك أن أحد أصدقاء الموسوعيين عينه والده - المستشار الجديد لفرنسا - في منصب الرقيب، واستمر كرتيان جيوم لامونون دي ماليشرب (١٧٢١ - ١٧٩٤) فترة طويلة في منصب متميز، كرجل دولة ليبرالي، وكرجل شجاع مستنير.



وقدّم ماليشرب في مناسبات كثيرة الحماية لـ «ديدرو» ودالمير من وراء الستار . وفي عام ١٧٥٢ صدر أمر ملكي بحظر أول مجلدين في الموسوعة، كما صدر أمر باحتجاز كل المواد واللوحات التي لم تنشر، ودعا ماليشرب ديدرو إلى إخفاء المخطوطات الموجودة بحوزته في مكان أمين .. وآمن مكان في رأيه هو منزل ماليشرب نفسه.

الملك: ما له وما عليه

دما جرد الملك برلمان باريس من جميع سلطاته القانونية فى عام ١٧٧١ وعين بدلا مجلسه الأعلى» خطر فى بال مالىشرب إصدار «بيان احتجاج» يدعو فيه «مجلس إلى الانعقاد. وفى السنوات الأخيرة «للنظام القديم» أصبح «مسيو جيوم» من أكثر المحبوبين فى فرنسا؛ نظرا لدوره الرئيسى فى تشجيع الإصلاح.



نتى وهو رئيس لإدارة القصر الملكى ظل يرتدى ملابس رثة فى تحد متعمد ت قصر فرساي، فقد كان شغوقاً للغاية بالتوفير والاقتصاد والإصلاح ليتناسب مع بلاط فى تلك الأيام، شعر بأنه مضطر للاستقالة.

مغامرات مسيو جيوم

كان الإبعاد المنتظم من الوظيفة (كعقاب لاستقلال ذهنه) قد أمد ماليشرب بالوقت للانغماس في رسالته الحقيقية: دراسة علم النبات.

تركزت طموحاتي في أن أنجح في دحض النظريات الطبيعية عند بوفون الذى أعلنت أنه وغد وأحمق، وأن أقوم بترميم أعمال أستاذى العقلى لينبوس^(١)



وفى عزله فى قصره أقام أوسع حديقة علمية فى فرنسا وأصدر أربعين مجلدا عن الأعشاب (مذكرات نباتية).



وفى عام ١٧٧١ عثر ليشرب على جثة زوجته، فى الغابة قرب المنزل؛ فقد قتلت نفسها ببنديقة.

(١) كارل لينبوس (١٧٠٧ - ١٧٧٨): عالم نبات سويدي يعتبر مؤسس علم النبات الحديث. قسّم النباتات إلى شعب، وطبق ذلك على الحيوان أيضاً. (المترجم)

كان ليشرب يعتقد - مسيرا في ذلك المبادئ السياسية لعصر التنوير - أن كل إنسان -
حتى الملك - ينبغي أن يخضع للقانون وأن يتمتع بمزاياه.



وكانت النتيجة أن انتهت حياة ليشرب على المقصلة.

دينيس ديدرو

ميول ديدرو النبيلة كثيرا ما أزعجت والده، إلا أن صورته أمام نفسه ككاتب ومثقف، تشكلت - بالقطع - على احترام قيم والده: صانع السكاكين، ولقد فهم ديدرو أن الكتابة صناعة أو حرفة تتطلب العمل الشاق والنظام.



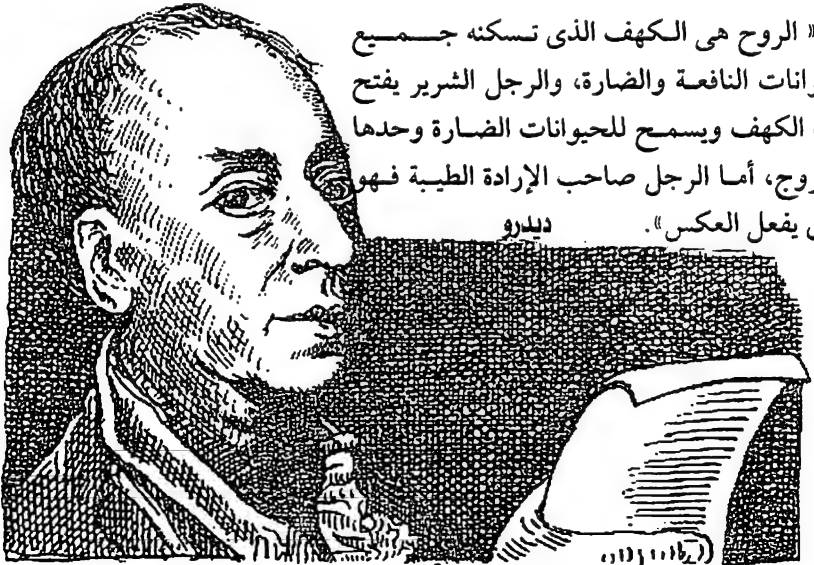
ظل ديدرو باستمرار على علاقة ممتازة بأخته العانس التي شوهت وجهها واضطرت إلى تركيب أنف صناعي بقية حياتها، وكان لديدرو شقيقة أخرى أصبحت بإرادتها راحة، ثم أصيبت بعد ذلك بالجنون وماتت في الثامنة والعشرين من عمرها. أما شقيقه ديديه فقد كان في البداية قسيسا ثم أصبح بعد ذلك قمسا في كاتدرائية. ماذا يطلق هؤلاء المسيحيون على الكمال الإنجيلي؟ لا شيء سوى الفن الميت للطبيعة الخائفة، وكان يمكن لديديه أن يكون صديقا جيدا، وأخا جيدا، لولا أن المسيح أمره أن يسحق كل هذه التفاهات تحت قدميه.

التاريخ السرى لروحه

فى عام ١٧٤٢ تزوج ديدرو - سرا وضد رغبة والده - من فتاة فقيرة لكنها جميلة، هي أنطوانيت شامبيون، ولم يبلغ سن الرشد سوى ابن وحيد لهما هو أنجيليك. مدام ديدرو كان أصدقاؤها يعتبرونها امرأة صعبة الرأس إلا أن ديدرو ظل مخلصا لها على طريقته. وفى عام ١٧٥٥ التقى بالحب العظيم فى حياته صوفى فولاند.



وكان يقدر فيها صراحتها ووضوحها فى التعبير عن نفسها، واستمرت علاقتهما ربع قرن، ولم يفصلهما سوى موتها عن ثمان وستين عاما.



« الروح هى الكهف الذى تسكنه جميع الحيوانات النافعة والضارة، والرجل الشرير يفتح باب الكهف ويسمح للحيوانات الضارة وحدها بالخروج، أما الرجل صاحب الإرادة الطيبة فهو الذى يفعل العكس. » ديدرو

ديدرو والأصدقاء

«ولدتُ كثير الكلام لا أميل إلى الكتمان بقدر المستطاع». لقد كان ديدرو متحمسا لدرجة نسيان نفسه، يمكن معرفته بطريقة مذهلة، ويريد أن يكون مهتما بأي شيء على نحو مطلق، ويمكن أن تكون له نظرية عن ذلك. كان ديدرو متحمسا ومتحدثا لا يرتوى، يذرع الحجرة جيئة وذهاباً بلا توقف، ويخلع شعره المستعار، إذا اشتعل حماسا لموضوع ما..

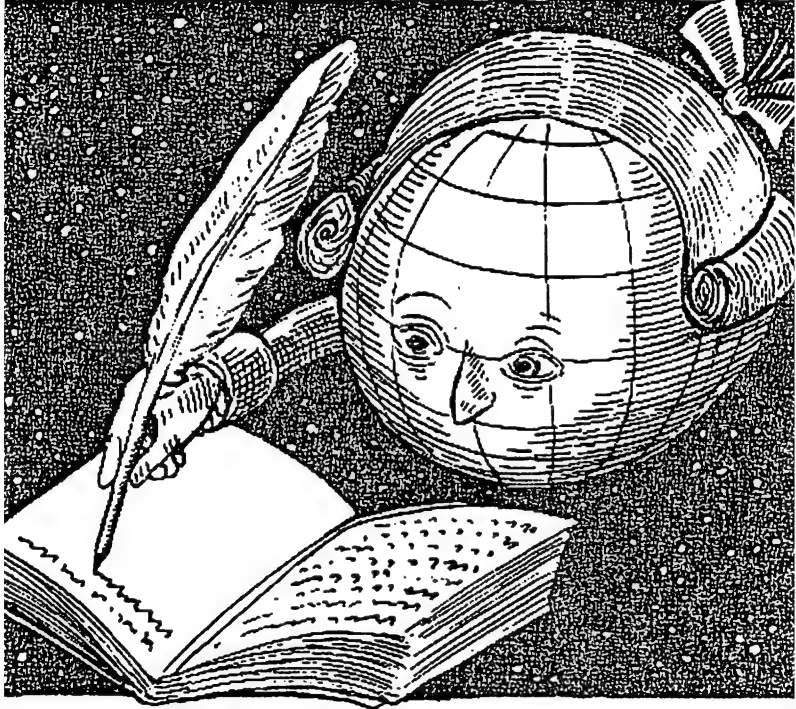
لمصلحتي ولمصلحة أصدقائي كنتُ أقرأ، وكنت أكتب وأأمل، وأصغى، وأنظر،

وأشعر، وفي غيابهم كان إخلاصي يرد كل شيء إليهم، وكنت أحلم، بلا توقف، بسعادتهم ... ومن أجلهم كنتُ أركز في استخدام كل حواسي، وكل ملكات ذهني وربما كان هذا هو السبب الذي من أجله كان هناك في خيالي وحديثي تحسن ضئيل في الأمور مع قدر من المبالغة. وكانوا أحيانا يلومونني على ذلك: الأوغاد ناكرو الجميل!



ما المقصود بالموسوعة؟

كان هناك مقال ممتاز عنوانه «الموسوعة» يعلم فيه ديدرو المشتركين أن الكلمة بل: وهى تعنى «الارتباط المتبادل لكل معرفة»، أقرب إلى الطلسم أو التعويذ؛ سرّة فى الكثير من كتابات ديدرو. «والحق أن الهدف من الموسوعة هو تجميع رف المتناثرة فوق ظهر الأرض؛ لكى نقدم خيوطها العامة وبنيتها للناس الذين م، وننقل ذلك إلى أولئك الذين سيأتون من بعدنا، حتى يكون عمل القرون اللاحقة».



ن محاولة إعداد «موسوعة» هو عمل ينتمى إلى العصر الفلسفى حسب، العمل ب إلى أن كل شىء لايد من فحصه ومناقشته وبحثه بغير استثناء، وبغض النظير أى إنسان، ولايد لنا من تحطيم الحواجز التى لم يضعها العقل أبداً، وأن نعي ن والعلوم الحرية التى هى ثمينة ونفيسة بالنسبة إليها. قد دفع القرن الماضى العلوم والفنون على قدر ما تستطيع أن تذهب.. ومهمة ن هى تجميع هذه الإنجازات فى جسد واحد ونقله إلى الأجيال القادمة.

الفن فى عصر التنوير

اللوحات الأخلاقية لوليم هوجارت (١٦٩٧ - ١٧٦٤)^(١) تقارن بقصص ريتشاردسون وفيلدنغ من حيث ثراء معلوماتها، ولقد كانت السخرية المرئية الشعبية تراثا واصله توماس رولاندسون (١٧٥٦ - ١٨٢٧)^(٢)، وچيمسن جيلراى (١٧٥٧ - ١٨١٥)^(٣)،



- (١) ولیم هوجارت (١٦٩٧ - ١٧٦٤): رسام إنجليزية تغلب على كثير من أعماله روح النقد الاجتماعى اللاذع، من أشهر لوحاته: «زواج على الموضة» فى ست لوحات. (المترجم)
- (٢) توماس رولاندسون (١٧٥٦ - ١٨٢٧): رسام كاريكاتير إنجليزية استقر فى لندن لرسم لوحات وصور الأشخاص عام ١٧٧٧ رسم سلسلة من اللوحات بعنوان: «رحلات دكتور ستاكس». (المترجم)
- (٣) جيمس جيلراى (١٧٥٧ - ١٨١٥): رسام كاريكاتير إنجليزية، وقد اشتهر بصفة خاصة بسبب لوحاته السياسية التى يسخر فى كثير منها من الأسرة المالكة. (المترجم)

وتوماس جيتزبورو (١٧٢٧ - ١٧٨٨) ^(١) ويشوع رينولدز (١٧٢٣ - ١٧٩٢) ^(٢) الذى رسم صوراً للأثرياء من رعاة الفنون الذين كانت اهتماماتهم العملية توضحها لوحات الحصان التى رسمها جورج ستبس (١٧٢٤ - ١٨٠٦) ^(٣) واللوحات العلمية والصناعية التى رسمها جوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ - ١٧٩٧) ^(٤).

أما الفن فى إيطاليا فهو يعكس أمجاد الماضى فى عصر النهضة وعصر الباروك فى تحف فنية طوبوغرافية لـ : أنطونيو كاناليتو (١٦٩٧ - ١٧٦٨) ^(٥) وجيام باتستا تيابولو (١٦٩٦ - ١٧٧٠) ^(٦) تصور الأطلال القوطية وكذلك السجون التى تخيلها جيوفانى باتستا بيرانزى (١٧٢٠ - ١٧٧٨) ^(٧) التى تكشف عن جانب الخيال المظلم فى عصر التنوير.

-
- (١) توماس جيتز بورو (١٧٢٧ - ١٧٨٨) : رسام إنجليزى يعتبر أحد أعظم الرسامين البريطانيين فى القرن الثامن عشر، من أشهر لوحاته «حديث فى حديقة» عام ١٧٤٦ و«السيد والسيدة أندروز» ١٧٥٠ و«عربة الحصاد» عام ١٧٦٧. (المترجم)
- (٢) السير يشوع رينولدز (١٧٢٣ - ١٧٩٢) : رسام إنجليزى يعتبر عند بعض النقاد أعظم الرسامين الإنجليز فى كل العصور من أشهر لوحاته «سن البراءة» و«نيللى أوبريان». (المترجم)
- (٣) جورج ستبس (١٧٢٤ - ١٨٠٦) : رسام إنجليزى نشر «تسريح الحصان» عام ١٧٦٦ الذى استخرج منه نقوشاً على ألواح كثيرة، لاسيما لوحاته الدقيقة عن الخيل. «المترجم»
- (٤) جوزيف رايت أوف ديربى (١٧٣٤ - ١٧٩٧) : رسام إنجليزى مشهور بلوحات عن «ضوء الشمع» و«بجوار المدفأة». (المترجم)
- (٥) أنطونيو كاناليتو (١٦٩٧ - ١٧٦٨) : رسام إيطالى من مواليد البندقية عُنَى بتصوير المدن ومظاهر الحياة فيها وبخاصة فى البندقية وإنجلترا، من أشهر لوحاته «القناة العظيمة» و«إيتون وكينستها». (المترجم)
- (٦) تيابولو، جيوفانى . باتستا (١٦٩٦ - ١٧٧٠) : رسام إيطالى أشهر لوحاته الجصية الضخمة التى زين بها عدداً من القصور والكنايس، فى أعماله أصالة متميزة من آثاره «أنطونيو وكليوبترا» (المترجم)
- (٧) بيرانزى، جيوفانى باتستا (١٧٢٠ - ١٧٧٨) : مهندس ورسام إيطالى اشتهر بتصوير المواقع الرومانية الكلاسيكية والمعاصرة وقد أسهمت رسومه المعمارية الكلاسيكية فى غو الحركة الكلاسيكية الجديدة فى القرن الثامن عشر. (المترجم)
- (٨) واتو، جان أنطوان (١٦٨٤ - ١٧٢١) : رسام فرنسى، عدّه بعض النقاد مؤسس المدرسة الفرنسية فى الرسم، عُنَى بتصوير الوجوه والمناظر الطبيعية، من أشهر أعماله «الكوميديون الإيطاليون» و«طعام الفطور فى الهواء الطلق» و«اللامبالى». (المترجم)

الأرستقراطية الفرنسية الرائعة وما فيها من إفراط وإسراف رُوِّج لها رسامو الرُكوك^(١) من أمثال : أنطوان واتو (١٦٨٤ - ١٧٢١) وفرانسوا بوشيه (١٧٠٣ - ١٧٧٠)^(٢) . ولقد كتب ديلرو عن الرسامين الجلد الذين كانوا يعرضون فنهم في صالونات باريس، وكان فنه في النقد يمزج بين الأحكام الأخلاقية (كان يعتقد أن بوشيه كان غير أخلاقي) والأحكام الجمالية، ولقد كان يعجبه من بين الفنانين جان سيمون شاردان (١٦٩٩ - ١٧٧٩)^(٣) وجان بابتست جروز (١٧٢٥ - ١٨٠٥)^(٤) وجان أوتورو فراجونا ، (١٧٣٢ - ١٨٠٦)^(٥) الذي تطلع إلى رؤية أخلاقية جديدة يمكن أن تتعرف على الناس والأحداث في موازاة مع نظراته لأشكال الدراما الجديدة.

وكان مصطلح علم الجمال أو الإستايطيقا قد صاغه المفكر الألماني أ. ج. بومجارتن (١٧١٤ - ١٧٦٢) تلميذ الفيلسوف كريستال فولف (١٦٧ - ١٧٥٤) وقد نشر بومجارتن كتابه عن الإستايطيقا عام ١٧٥٠. أما علم الآثار وفن التاريخ فقد أسسها يوحنا يواخيم فكتكلمان (١٧١٧ - ١٧٦٨) الذي شرع مع الرسام الألماني أنطون روفائيل مينجرز (١٧٢٨ - ١٧٧٨) في إحداث أسلوب ثوري لمذهب الكلاسيكية الجديدة في روما حوالي عام ١٧٥٠. ولقد أثرت كتابات الإيرل شافتسبري (١٦٧١ - ١٧١٣) تلميذ لوك في المناقشات حول الذوق، كما أثرت في بحث للمفكر إدموند بيرك (١٧٢٩ -



(١٧٩٧) عنوانه «بحث فلسفي في أصل أفكارنا عن الجليل والجميل» (١٧٥٦) ولقد عرض إيمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤) تحليلاً للجميل والجميل في كتابه «نقد ملكة الحكم» عام ١٧٩٠.

- (١) الرُكوك Rococo : أسلوب في الفن والعمارة نشأ في باريس في مطلع القرن الثامن عشر، وراج في فرنسا وأوروبا الوسطى خلال النصف الثاني منه وذلك بعد انقضاء عصر الباروك: يتميز بالمبالغة في الزخرفة والإكثار من استخدام المرايا وأشكال «القواقع والصدف». ولفظ «الرُكوك» مشتق من كلمتين فرنسيتين هما Rocaille ومعناها الزخرفة و Coquille ومعناها الصدفة أو القوقعة . (المترجم)
- (٢) فرانسوا بوشيه (١٧٠٣ - ١٧٧٠): رسام فرنسي يعتبر أحد أشهر الرسامين الفرنسيين وأغزهم إنتاجاً، شملته مدام بومبادور- وكان أستاذاً في الرسم - برعايتها، اشتهر بتصويره الموضوعات الدينية والمثولوجية والرمزية والريفية، من أروعها الفطور عام ١٧٣٩ . (المترجم)
- (٣) جان بابتست سيمون شاردان (١٦٩٩ - ١٧٧٩): رسام فرنسي عرف بلوحاته التي تصور الحياة المنزلية الهادئة وموضوعات الطبيعة الصامتة من أشهر لوحاته «سمك الورد» عام ١٧٢٧ . (المترجم)
- (٤) جان بابتست جروز (١٧٢٥ - ١٨٠٥): رسام فرنسي لوحاته ذات موضوعات عاطفية أو أخلاقية في المحل الأول. من أشهر أعماله «المخطوبة القروية» عام ١٧٦١ و«اللعنة الأبوية» عام ١٧٦٥ و«الإبريق المكسور» عام ١٧٧٣ وهي كلها محفوظة في متحف اللوفر في باريس. (المترجم)
- (٥) فراجونا، جان أدنريه (١٧٣٢ - ١٨٠٦): رسام فرنسي يعتبر أحد أبرز رسامي الطبيعة في تاريخ الفن كله. تتميز لوحاته بالجللاء والرشاقة من أشهرها: «المفتسلات» و«درس الموسيقى» و«جزيرة الحب» و«الأرجوحة» . (المترجم)

جان چاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨)

ولد روسو فى مدينة جنيف وهى جمهورية (دولة المدنية) بروتستانتية كالفينية فى سويسرا يحيط بها عدد كبير من الدوقيات الكاثوليكية والإمارات والممالك. وتوفيت والدته بعد ولادته بوقت قصير. وقد تلقى تعليماً ربيعاً، فى سن الخامسة عشرة أخذ إلى منزل بارونة سويسرية كاثوليكية هى مدام دى قارن التى كانت تأمل فى تحويله إلى الكاثوليكية وإكمال تعليمه.

بعد وصولى إلى باريس بقليل
عام ١٧٤١ التقيت بديدرو فى
المقهى الذى كنا نقصده معاً
لشاهدة من يلعبون الشطرنج.

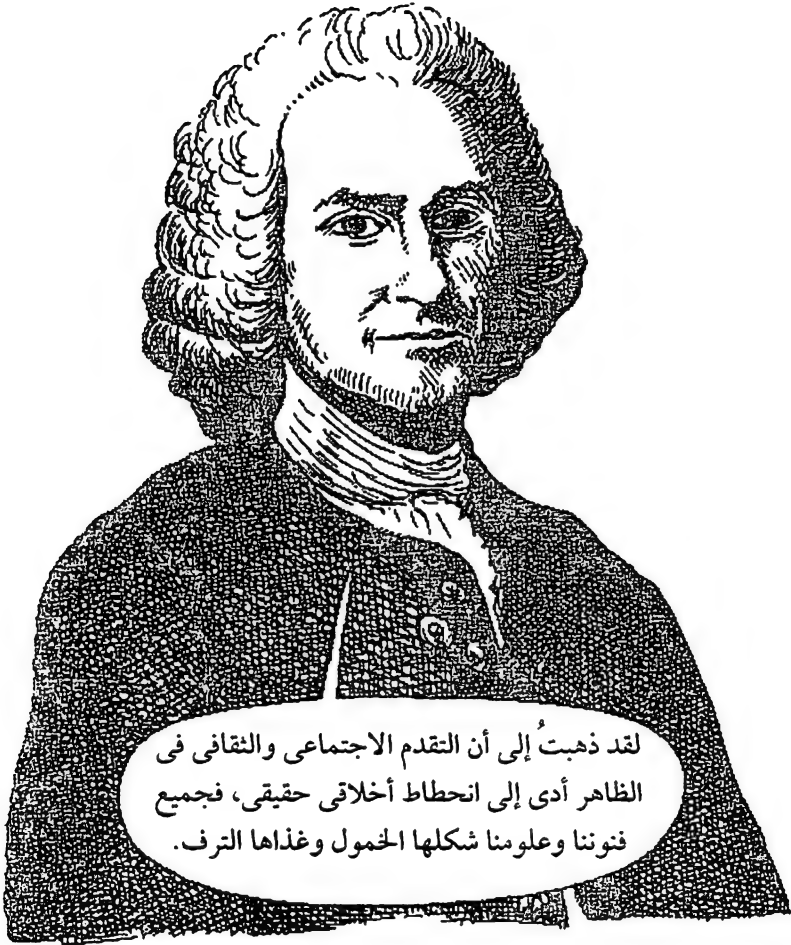
ولقد حافظنا على صداقة حميمة لمدة
خمس عشرة سنة رغم أننا كنا متعارضين
تماماً فى الأمزجة مع تقاربنا فى السن،
وتشابهنا فى الطموح والخلفية الثقافية.



أما بالنسبة إلى الموسوعة فقد كتب روسو فيها مقالاً عن «الاقتصاد السياسى» ومعظم المقالات فى موضوعات موسيقية، كما تم قبول روسو فى الحلقات الثقافية المهيبة فى باريس - ومن فلاسفة التنوير - على أنه واحد من جماعتهم.

تحديات روسو

بأول بحث مهم له «مقال عن الفنون والعلوم» عام ١٧٤٩ تحدى روسو خاصية أساسية في عصر التنوير، ولخص موضوعا سوف يواصل تطويره في جميع كتبه المتأخرة.



لقد ذهبتُ إلى أن التقدم الاجتماعي والثقافي في
الظاهر أدى إلى انحطاط أخلاقي حقيقي، فجميع
فنوننا وعلومنا شكلها الخمول وغذاها الترف.

وكان بحث روسو المهم التالي هو مقال في أصل التفاوت عام ١٧٥٥، رسم كذلك صورة للتاريخ البشري على أنه تجل للفساد المتدرج والانحطاط المتوالي. غير أن التنطع والترف والتعليم ليست مسئولة إلا عن التفاوت واللامساواة، فقام روسو بتعقب جذور التفاوت في الملكية الخاصة وما ينتجه من حقد وحسد.

مقال عن أصل التفاوت

«وهكذا ينتشر التفاوت الطبيعي نفسه بالتدرج مع تفاوت الاختلاط على وجه غير محسوس، ويتطور الاختلاف بين البشر تبعاً لاختلاف ظروفهم ويصبح أكثر دواماً ومحسوساً أكثر في نتائجه، ويبدأ في التأثير - بالنسبة نفسها - في جميع الأفراد.

لقد أصبح الناس يهتمون الآن بالظهور بما ليسوا عليه حقيقة، فما تكونه وما تبدو عليه أصبحت الآن شيئين مختلفين أتم الاختلاف، وينبع من هذا التمييز فخامة وقحة متعجرفة، والغش والاحتيال، مع العديد من الرذائل التي تسير في أعقابها. ومن ناحية أخرى فإن الموجودات الحرة المستقلة كما كان البشر، وعلى نحو ما هم الآن، ونتيجة للحاجات الجديدة، خضعوا - إن صح التعبير - للطبيعة كلها، كما خضع الواحد منهم للآخر بصفة خاصة، وأصبح كل واحد منهم، إلى حد ما، عبداً حتى وإن أصبح سيداً للآخرين: ولو كانوا أغنياء فهم بحاجة إلى خدمات الآخرين، ولو كانوا فقراء فهم في حاجة إلى مساعدة الآخرين، وحتى الحاجة البسيطة لا تمكنهم من العمل بدون بعضهم البعض. وباختصار ظهرت العداوة والتنافس من ناحية والاهتمامات المتضاربة من ناحية أخرى، مع الرغبة السرية في الحاليتين في الربح على حساب الآخرين وجميع هذه الشرور كانت النتائج الأولى للملكية الخاصة، وما يرتبط بها من نمو للتفاوت وعدم المساواة.

قبل اختراع العلامات والرموز التي تمثل الأغنياء كانت الثروة لا تعتمد على شيء قدر اعتمادها على الأرض وقطيع الماشية، فتلک هي الحياة الوحيدة التي يستطيع البشر امتلاكها: وما لبث الأثرياء من جانبهم أن بدأوا في تذوق لذة إصدار الأوامر، حتى ازدروا الآخرين جميعاً، وعرف الأغنياء أنهم تأسسوا على أسماء زائفة محفوفة بالمخاطر، حتى إذا ما أخذ الآخرون منهم عنوة ما ربحوه هم أنفسهم بالقوة، فلن يكون لديهم مبرر للشكوى...».



قولتير فى مواجهة روسو

أرسل «روسو» نسخة من هذا الكتاب إلى قولتير الذى اعترف بتسلّمه فى رسالة.

تسلّمت - يا سيدى - كتابك الجديد ضد الجنس البشرى، وأشكرك عليه، فلم يحدث أن استخدم مثل هذا القدر من الذكاء لتحويلنا إلى حيوانات، فبعد أن يفرغ المرء من قراءة كتابك يجد لديه الرغبة فى أن يسير على أربع، لكن لما كنت قد فقدت هذه العادة منذ أكثر من ستين عامًا، فإننى أخشى أن لا يكون فى استطاعتى الاستعادتها من جديد.

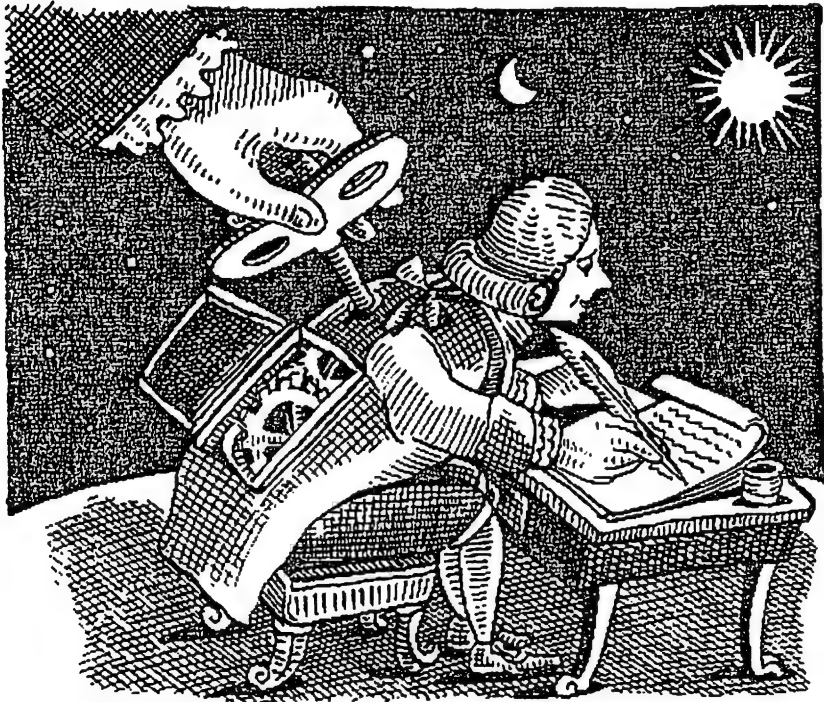
لا تحاول أن تعود إلى السير على أربع فلن تجد أحداً يمكن أن ينجح فى ذلك، بل عليك أن تعلمنا كيف نقف على قدمينا وأن نكف عن أن نقف على قدميك أنت...



يظهرنا التاريخ فى رأى روسو على أن التقدم قد زاد من فساد الناس، لكنه يوافق على أن الوقت قد حان ليكون سبب هذا الفساد هو نفسه «يحتاج أن يمنع تحوله إلى ما هو أسوأ... فالحال أشبه بترك السكين فى الجرح خشية أن تموت الضحية لو جذبناها منها..».

الطبيعة والتاريخ الطبيعي

كان المفكرون في كل مكان - إبان النصف الأول من القرن الثامن عشر - لا يزالون يحاولون هضم مضامين حسابات نيوتن، فقد وصلت التأملات حول طبيعة الإنسان إلى ذروتها في نموذج «الإنسان الآلة» أو بالأحرى الحيوان الآلى. فديدرو الذى كان يفهم الطب فهما جيداً والذى سحرته التطورات الجديدة في حياة العلوم - المجدب لتأمل مضامينها لفهمنا للجنس البشرى. لقد سحرته فكرة أن كل شىء في الكون مترابط، وقد أدى به ذلك إلى حشد من التشابكات والنظرات والافتراضات بعيدة النظر.



سألت العالم الطبيعي عما إذا كان الكون أو المجموعة العامة من كل ذرات التفكير والشعور شكل كلا واحداً أو لا: فلو أجاب أنها لا تشكل كلا واحداً فإنه يهدم وجود الله بكلمة واحدة عن طريق إدخال الاضطراب والفوضى في الكون، وهو بذلك سوف يدمر أساس الفلسفة عن طريق تحطيم السلسلة التي تربط بين جميع الموجودات. ديدرو: «أفكار حول تأويل الطبيعة».

الطبيعة بوصفها نسقًا: لينيوس

الدكتور السويدي وعالم الطبيعة «كارل لينيوس» (١٧٠٧ - ١٧٧٨) ميّز تمييزًا تامًا بين الموجودات الحية وغير الحية . وساعد في تأسيس «علوم الحياة» مثل «علم النبات» و«علم الحيوان» لمجالات منفصلة من البحث.



نظام التسمية الثنائية الذي تصنّف الكائنات الحية بواسطته وتعطى لها أسماء (لكل جنس أو اسم العائلة ونوع أو اسم الفرد) ونحن مدينون بهذا التصنيف إلى لينيوس Linnaeus فقد رأى أن الطبيعة عبارة عن كل منسجم، نسق متوازن ومتربط خلقه الله. وتجول تلامذته في أنحاء العالم على سفن تجارية، أو مع مستكشفين من أمثال «كابتن كوك»..

الطبيعة بوصفها تاريخاً: بوفون

آراء لينوس تحداها جورج لويس ليكرك كونت دى بوفون (١٧٠٧ - ١٧٨٨) الذى بدأ عام ١٧٤٨ بنشر ٣٦ مجلداً من كتابه «التاريخ الطبيعي» إبان حياته، وقد أكملها بثمانية مجلدات (١٧٨٨ - ١٨٠٤) بعد وفاته، وقد غطى الكتاب جميع الموضوعات فى الطبيعة من الإنسان والطيور إلى القشريات، والأسماك، والمعادن، وقد كتب بلغة دقيقة ومحكمة.

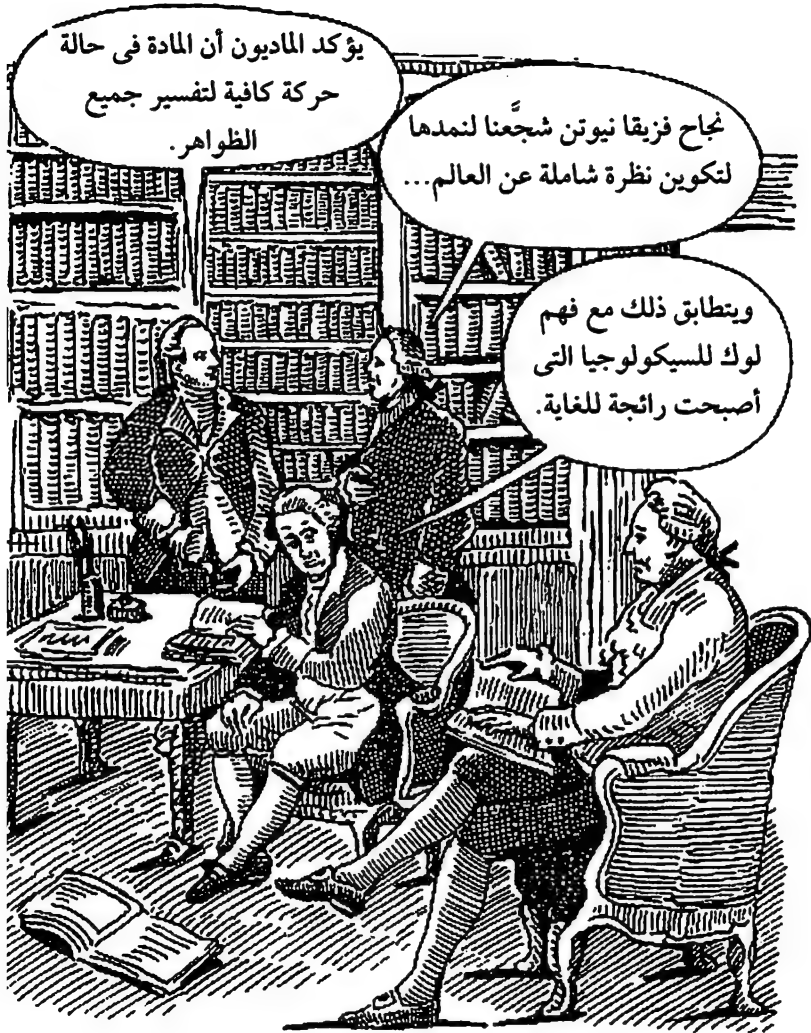


علم تصنيف الأحياء عند
لينوس علمنا فقط فن جعل
العالم يبدو أبسط مما هو عليه..
وأنا لم أقدم نسقا، بل وصفا
لسلسلة من التفصيلات الجزئية
العارضة...

واستخدم دليلا من الحفريات وتجارب فزيقية للبرهنة على أن العالم والحياة نفسها أبعد فى القدم بأكثر مما يعتقد اللاهوتيون. وعنوان كتابه «التاريخ الطبيعي» يلفت النظر إلى إيمانه بأن العالم فى حالته الراهنة ليس فى الحالة نفسها التى كان الله قد خلقه عليها. ولقد أدانت كلية اللاهوت، فى السوربون، هذا الكتاب.

فضيحة المذهب المادى

ارتبط بعض فلاسفة التنوير ارتباطا وثيقا بالموسوعة وطوروا نظرة إلى العالم: حتمية، إلحادية.



يؤكد الماديون أن المادة فى حالة
حركة كافية لتفسير جميع
الظواهر.

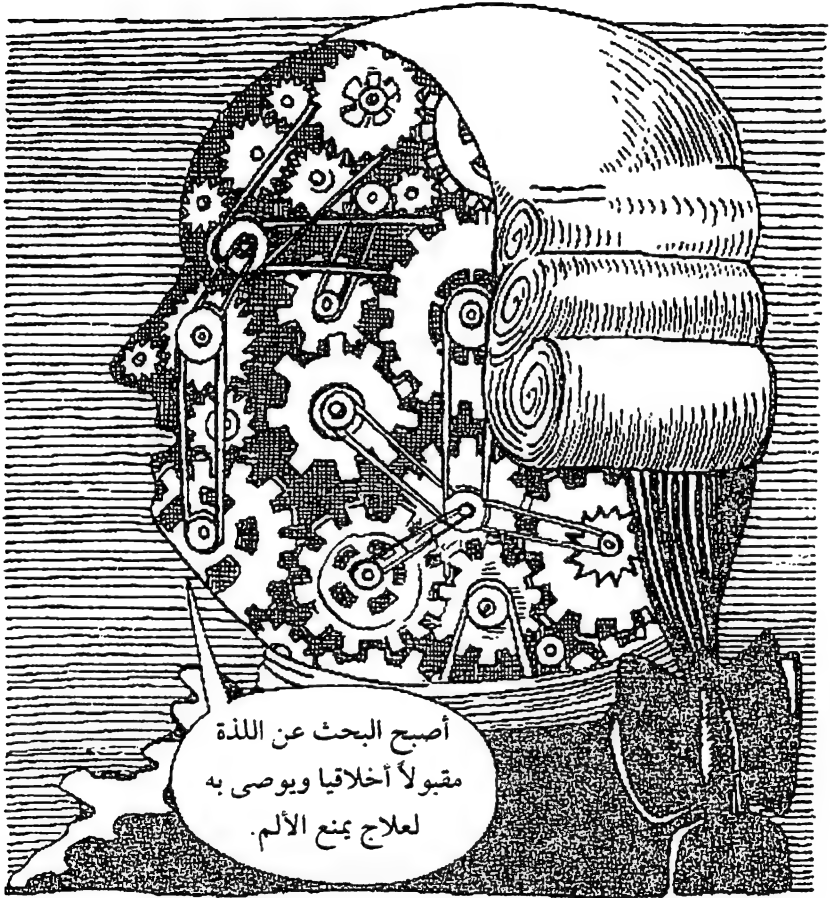
نجاح فزيقا نيوتن شجّعنا لنمدها
لتكوين نظرة شاملة عن العالم...

ويتطابق ذلك مع فهم
لوك للسيكولوجيا التى
أصبحت رائجة للغاية.

يمكن أن نتعقب أى معرفة عائدين إلى الإحساسات أو الانطباعات التى تلقيناها
العالم الخارجى، وليس التطور الفردى سوى نتيجة لتراكم هذه الانطباعات . و
الأفكار اللاهوتية التقليدية مثل «النفس» «افتراضات غير ضرورية».

لامترى وهلفتيوس

المادى الفاضح المتطرف فى عصر التنوير هو الطبيب جوليا أوفروى دى لامترى (١٧٠٩ - ١٧٥١) الذى زعم كتابه «الإنسان الآلة» أنه من الممكن تفسير جميع الملكات البشرية: العقلية والروحية وكذلك المادية الفيزيائية عن طريق تنظيم المادة، ومن ثم لم تعد هناك حاجة لأى نوع من النفس.



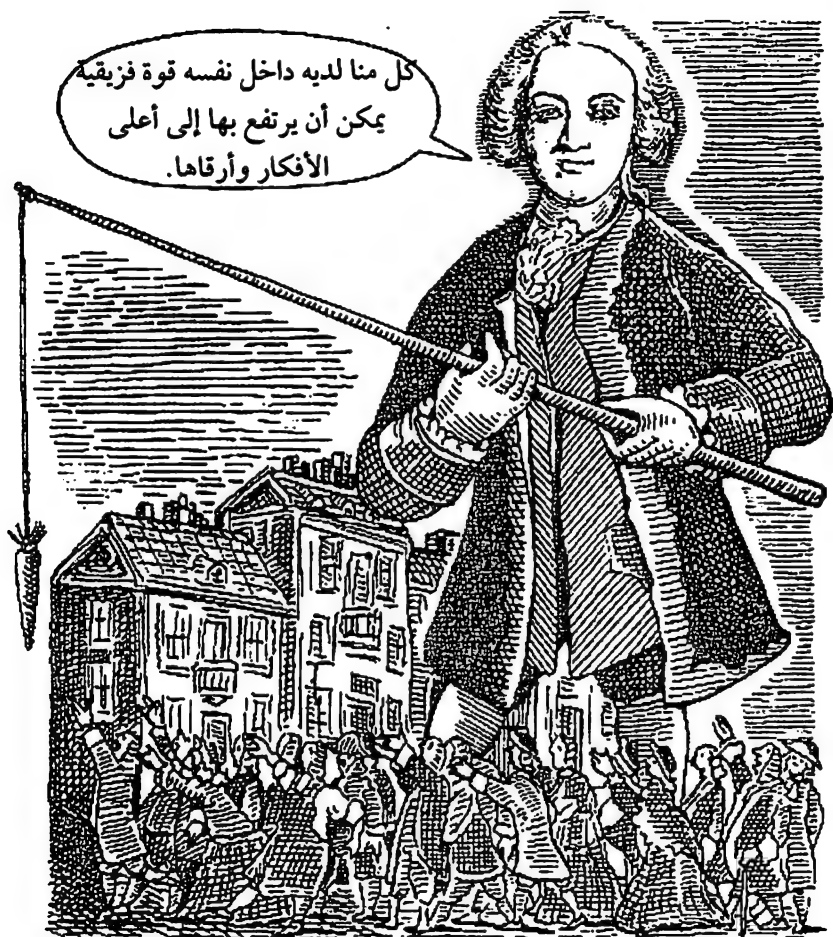
وما هو فضيحة أكثر بالنسبة لمعاصريه - بمن فيهم ديدرو وهولباخ - كان النتيجة التى انتهى إليها دى لامترى من أنه لا توجد معايير أخلاقية مطلقة وأن الإنسان تحكمه باستمرار دوافع مادية. واضطر إلى الهرب أولاً من باريس، ثم بعد ذلك من هولندا، واستقر فى النهاية فى بروسيا تلبية لدعوة الملك فردريك الأكبر.

فى يوليو ١٧٥٨ صديق ديدرو الفيلسوف صاحب التفكير الحر كلود أندريان هلفتيوس (١٧١٥ - ١٧٧١) نشر بحثاً عن الروح أثار فضائح عنيفة. وكانت مادية هلفتيوس من النوع السلوكى امتداداً لأفكار لوك وكوندياك، مفسراً كل المعرفة البشرية والسلوك على أنها ثمرة التربية والتعليم من خلال التجربة الحسية والاجتماعية، ولقد رفض هلفتيوس أن يفكر فى العوامل الفسيولوجية، لكنه مع ذلك تحدى الفهم الجبرى للأخلاق.



المذهب المادى وتحسين الموجودات البشرية

اعتقد هلفتيوس أن جميع البشر يولدون متساوين أساسا فى ملكاتهم، أما الخلافات الفعلية بين الناس فهى ترجع إما إلى اختلافات فى قوة عواطفهم وانفعالاتهم، أو إلى أحداث تربيتهم.



وصل كتاب «عن الروح» إلى الذروة فى رؤيته لتحسين أحوال الموجودات البشرية؛ إذ يستطيع المشرع الحكيم عن طريق إعداد مكافآت للفضيلة المدنية وإثارة العواطف والانفعالات، وبالتالي التغلب على القصور الذاتى للعقل، ولقد وجد ذلك صدى عند خطباء الثورة الفرنسية.

هولباخ

البارون دى هولباخ (١٧٢٣ - ١٧٨٩) عالم ألماني استقر في باريس (١) حيث كتب أكثر من ٤٠٠ مقالة أساسا عن الكيمياء وعلم المناجم، كتبها للموسوعة بصفة خاصة. وكان «هولباخ» «مضيفاً كريماً» كانت حفلات العشاء عنده «مأدبة» للقادة الراديكاليين في باريس، وكان الزوار من خارج فرنسا على مائدته من أمثال: لورنس شتيرن، وهوراس ولبول، وآدم سميث من برين. وسيزار بونزانا، ومارشيز دا بيكاريا، المصلح القانوني العظيم من ميلان، وبنيامين فرانكلين من أمريكا. وعندما كان يعمل بالسفارة البريطانية في باريس كان الفيلسوف التجريبي ديفيد هيوم كثيراً ما يتناول طعام العشاء على مائدة هولباخ.

لقد اندهشت عندما رأيت مثل هذا العدد الكبير من الملاحدة معا على المائدة.

عدد كبير؟ آه! يا سيدى نحن تقريبا كلنا هنا ملاحدة.



(١) جاء «هولباخ» من ألمانيا إلى العاصمة الفرنسية منذ نعومة أظفاره على رأس ثروة هائلة، وجعل من داره ملتقى لكاتب العصر، وقد بلغ من بذخ حفلات العشاء أن أطلق الأب جالياني على هولباخ لقب «سفرجى الفلسفة الأول!». (المترجم)

مصنع المفكرين الأحرار

بعد رحلة قام بها هولباخ إلى إنجلترا عام ١٧٥٦ (حيث قضى بضعة أيام في صحبة الممثل ديفيد جاريك، وأيضاً في صحبة صديق من أيام الدراسة، وهو المتطرف والإباحي جون ويلكز) قرر هولباخ أنه قد آن الأوان للقيام بحملة أشد جراً على الأفكار اللاهوتية المتوارثة.



وأصبح كتاب هولباخ نفسه «النسق الطبيعية» عام ١٧٧٠ نصاً مادياً سيئ السمعة أخذ فيه بوجهة نظر اختزالية تماماً. فالإنسان موجود طبيعي خالص، والإنسان الطبيعي هو إنسان يعمل تحت ضغط الأسباب التي تتكشف لنا عن طريق حواسنا، وأما الإنسان الأخلاقي فهو إنسان يعمل من خلال أسباب فزيقية لا تتكشف لنا على نحو مباشر.

حلم دالمبير

وجهة نظر هولباخ عن النوع البشرى تشبه وجهة النظر التى كشف عنها ديدرو بصورة دقيقة ومتشابهة وهى التى كتبها فى «حلم دالمبير» عام ١٧٦٩، لكنه لم ينشرها أبداً. ولقد كان ديدرو بوصفه كاتباً شاباً مناضلاً، قد قضى ثلاث سنوات فى حياته يترجم معجماً مهماً عن الإنجليزية، ولقد دعم افتتانه بالمجال كله خلال عقود العمل فى الموسوعة.



أكد ديدرو عن طريق تلخيص الأفكار فى صورة حوار وحلم، على طابعها الافتراضى، وتعتمد البرهنة عليها على مستقبل المكتشفات العلمية.

صديقان: مدموزيل دى إسييناس وبوردو اهتماما بعلاج دالمير من هلوسته.

ولذلك فأنا أكون ما
أكون لأنه من المحتم أن
أكون كذلك، غير الكل
تغيرنى بالضرورة. غير
أن الكل يتغير على
الدوام.

الإنسان ما هو إلا نتيجة
متكررة، والوضع الشاذ
أمر نادر وهما معا
طبيعيان، بالتساوى..

جميع المخلوقات
تستدعى الحياة مع
جميع الكائنات
الأخرى؛ وبالتالي مع
كل نوع...

والطبيعة كلها فى
حالة تدفق دائم..



ثم بعد ذلك تتحدثون
عن الأفراد بأبيها
الفلاسفة التعمساء!

.. ليس هناك مثل هذا
الشيء كلا، كلا ليس هناك
شيء كهذا.
ما المقصود بالموجود؟
مجموع عدد معين من
الميول...

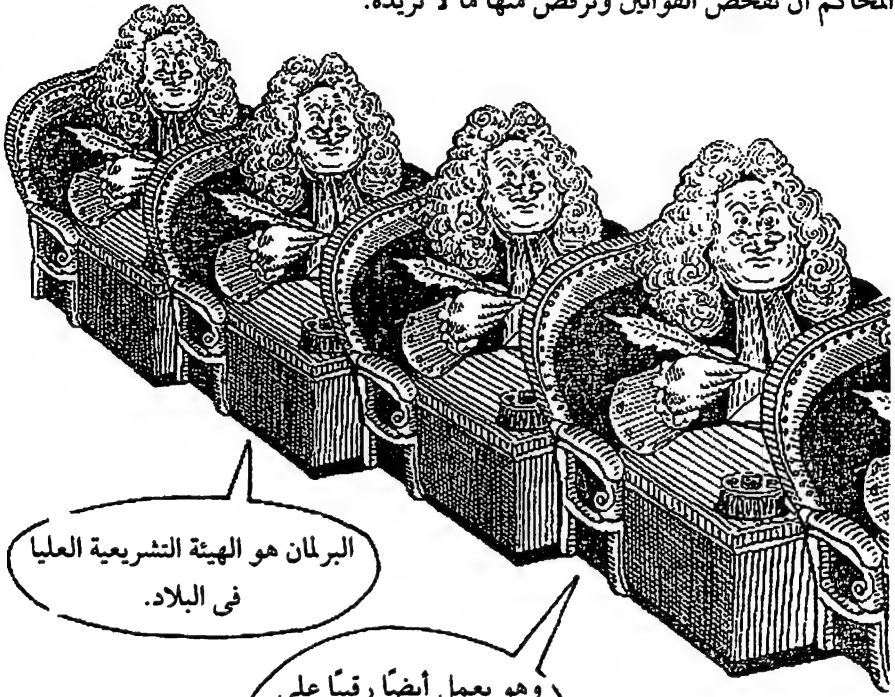
هل يمكن أن أكون شيئاً
أكثر من ميل؟

لقد توقف!

نعم، ولقد كتب بحثاً مسهباً
جميلاً رغم أنه حالياً بحث
نظري، فإنني أعتقد أنه كلما
تقدمت معرفة الإنسان تحقق
من ذلك أكثر..

البرلمانات الفرنسية

انقسمت فرنسا، في القرن الثاني عشر، انقساماً عميقاً حول مسألة السلطة السياسية. فقد كان الملك ووزرائه، بمعنى ما، في نزاع دائم مع البرلمانات، أما المحاكم الفرنسية العظيمة فقد كانت تسيطر عليها الطبقة الأرستقراطية، التي ادعت أن من حق هذه المحاكم أن تفحص القوانين وترفض منها ما لا تريده.



البرلمان هو الهيئة التشريعية العليا
في البلاد.

وهو يعمل أيضاً رقيباً على
المسرح، وعلى الأخلاق العامة
بصفة عامة.

كان هناك - ككل - ثلاثة عشر برلماناً في فرنسا، وكان لبرلمان باريس النفوذ الأقوى. وكان يمكن شراء المناصب في البرلمانات، وكانت وراثية. والمناصب العليا تمنح الحائزين عليها حق النبالة الذين أصروا على ما يسمى «بنبالة الثوب» في معارضة «نبالة السيف».

كان البرلمانيون مجانين بالبروتوكول، إذ يُعدُّ الاحتفال بعودتهم في شهر نوفمبر بعد عودتهم من عطلة الصيف واحداً من مناظر الطقوس العظيمة خلال السنة.



ونتيجة لذلك أصبح البرلمان، صواباً أو خطأ، مركز المعارضة القانونية للملك المطلق، وكان في سنوات منتصف القرن في صراع دائم مع العرش. وكان قصر العدل - مركز برلمان باريس - على ما يقول سيمون سكيما «في واقع الأمر - في حد ذاته مدينة مصغرة».

مونتسكيو و روح القوانين

نُشر كتاب مونتسكيو «روح القوانين» لأول مرة عام ١٧٤٨ يضمن احتراماً سياسياً على الفكرة التي تقول إن البرلمانات ينبغي أن تعمل على الحد من امتيازات التاج، كما يعتمد إلى نشر هذه الفكرة على نطاق واسع. وكان مونتسكيو نفسه رئيساً لبرلمان «بوردو».



وأصبح في يوم وليلة من أكثر الكتب رواجاً، إذ طبعت منه اثنتى عشرة طبعة في ستة أشهر، واختفى أعظم احتفال لكتاب «ألكسندر دليور» وهو كتاب موجز لمجموعة من التلخيصات عنوان «جنى مونتسكيو» مخصص للمناقشات الخلافية.

كان مونتسكيو يبحث عن الأسباب والمبررات التي جعلت المؤسسات السياسية على ما هي عليه؛ فشرع في عمل مسح للتنوع الهائل للنظم السياسية والاجتماعية على أساس مبدئين، الأول: اطراد الطبيعة البشرية ، والثاني: الاختلافات التي تحدثها البيئة والثقافة . وكانت دراسة مونتسكيو أول دراسة كلاسيكية عظيمة يمكن أن يقال إنها «أدب اجتماعي» غيرت من طبيعة المناقشات الفلسفية في موضوع السياسة.



القانون الطبيعي

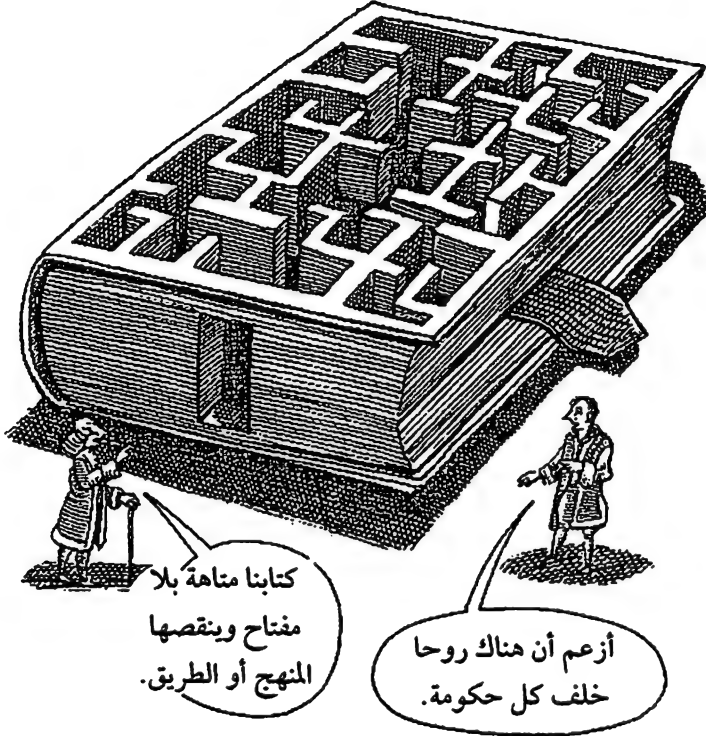
ونظر مونتسكيو مثل الكثير من معاصريه إلى الوراء إلى تراث قديم في نظرية القانون الطبيعي، فقد اعتقد الروائيون من أمثال شيشرون (١٠٦ - ٤٣ ق. م) أنه واجب أخلاقي على الإنسان أن يفكر بطريقة تجاوز العادات والعرف، وأن يكتشف ما الذي ينبغي عليه عمله.



يتحدث كُتّاب عصر التنوير أحياناً عن الله خالق القانون الطبيعي، ومصدر سلطته: «لكنهم بالفعل يستمدون أصله وصفته الملزمة من طبيعة الإنسان، اتفاق الحكماء عبر العالم، وعبر التاريخ، شهادة العقل الإحساس الطبيعي للإنسان بالعدالة، وكما عبر عن ذلك ديدرو بطريقة ثورية، وإن ظلت اختبارية في الموسوعة: الإرادة العامة التي لا تخطئ للبشر». (بطرس جاي)

التحفة المهمة

الثالث الأول من «روح القوانين» يعالج أشكال الحكومة وطبيعتها وحقوق الرعايا، ثم تحول الكتاب إلى تحليل تأثير المناخ والبيئة على السياسة والعادات الاجتماعية، ثم جاء الجزء الأخير من الكتاب مجموعة غير متألّفة من المناقشات - بين أشياء أخرى - عن الاقتصاد السياسى ، والسياسة فى فرنسا، والنظرية القانونية. لقد كان كتاب «روح القوانين» التحفة المهمة التنسيق فى القرن الثامن عشر.



خلف النظام الملكى يكمن «الشرف» الذى يعطى إحساسا بالمكانة والمسؤولية، الذى تبرهن عليه النبالة، أما الروح التى تكمن خلف النظام الجمهورى فهى «الفضيلة» والإحساس بالوعى المدنى والانتماء وما يستلزمه من واجبات. أما الروح التى تكمن خلف نظام الاستبداد فهى «الخوف» وعندما تضعف أى روح من هذه الأرواح التى تدعم النظام فسوف تضعف الحكومة من تلقاء نفسها^(١).

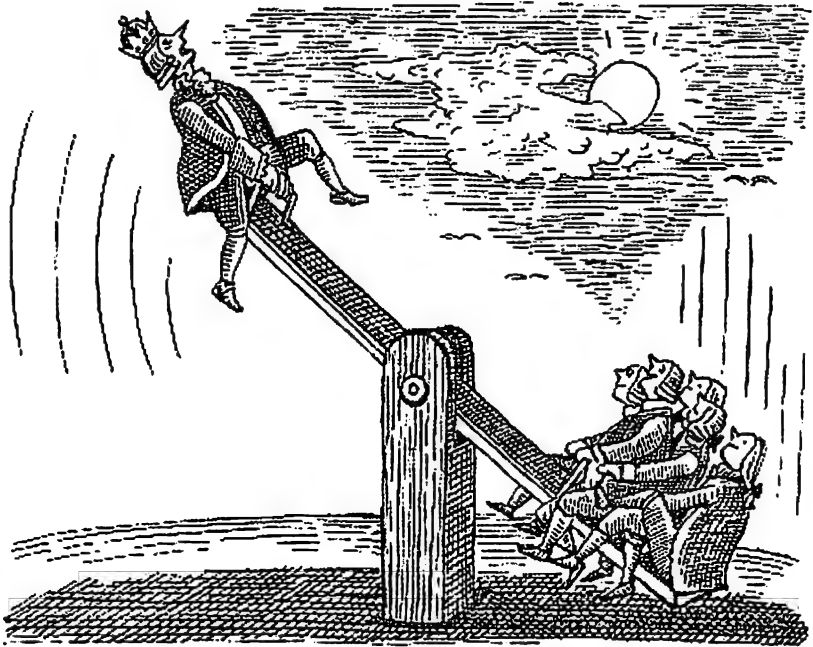
(١) كثيراً ما يقول مونتسكيو «المبدأ» الذى يركز عليه النظام الملكى، والمبدأ الذى يعتمد عليه الاستبداد... إلخ، بدلاً من كلمة «الروح». (المترجم)

الحرية الفردية وحكم القانون

اتفق كل فلاسفة التنوير على الفلسفة النبيلة والإنسانية التي يجسدها كتاب «روح القوانين»، وكان إيمان مونتسكيو بحرية الفرد أشد وضوحاً في معالجته للقضايا المرتبطة بالقانون والعدالة.

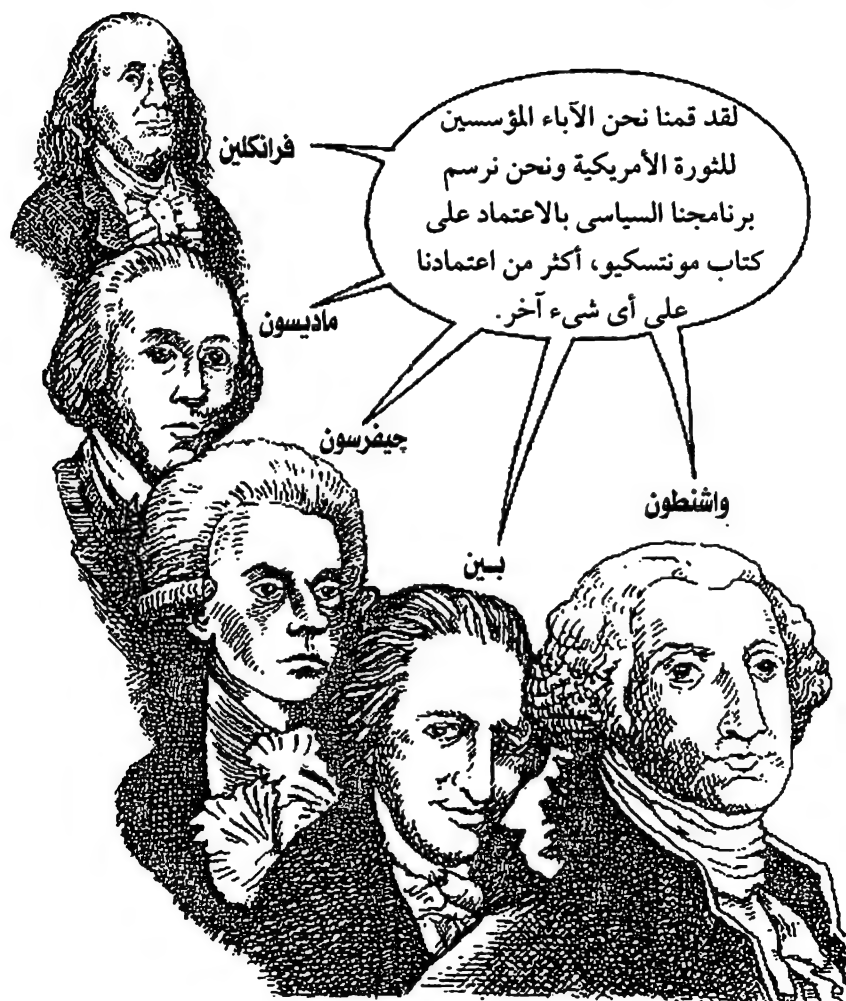


كنتُ أعتقد باستمرار أن الاستبداد نظام سيئ وينبغي شكمه، ولقد استحسنْتُ بصفة خاصة ما رأيت أن الرعايا البريطانيين يتمتعون به من حرية، وهي التي أعزوها إلى الفصل بين السلطات داخل النظام السياسي البريطاني.



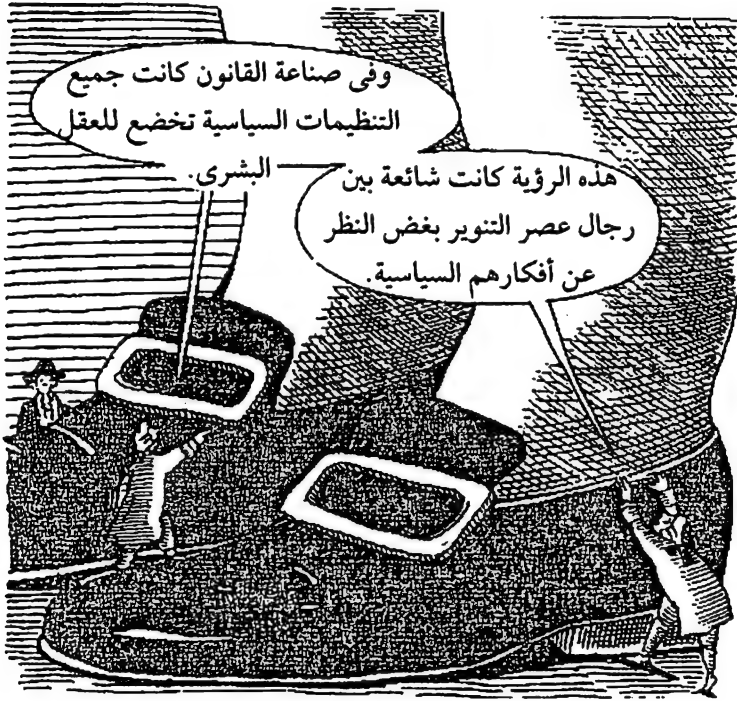
الملك في رأى مونتسكيو هو السلطة التنفيذية الوحيدة، في حين أن البرلمان وحده هو الذى يشرع القوانين، أما السلطة القضائية فتعمل - مستقلة - بمقتضى هذه القوانين.

والواقع أن كتاب مونتسكيو كان وجهة نظر مبسطة جدا عن السياسة البريطانية، وكان قد كتب في وقت التغير في بريطانيا. ولقد كان المفكرون الإنجليز الرواد يميلون إلى النزعة المحافظة، فلم تكن ثمة حاجة إلى الأيديولوجيات الراديكالية أو المتطرفة بعد تعريف جون لوك للبرالية السياسية، والبرالية الاقتصادية. والواقع أن الراديكالية المبكرة في إنجلترا قد تحولت إلى ضدها عن طريق المستعمرات الأمريكية. ولقد أثر كتاب مونتسكيو - بقينا - عندئذ في النظريات السياسية في اسكتلنده في عصر التنوير.



المستبد المستنير

الكتابات السياسية في عصر التنوير موجهة أساساً ضد ما يسمى عادة بمصطلح فضفاض هو «الاستبداد» الذي يشمل العديد من الخطايا، وهو يضم أى استخدام تعسفى للسلطة من جانب الملك، لكنه يشير كذلك إلى الامتيازات التى تدعيها الطبقة الأرستقراطية والكنيسة. بمقدار ما تقوم هذه الادعاءات ببساطة على أساس التراث أو الأحداث السابقة أو السلطة، ضد هذه البقايا اللاعقلية أو المخلفات رفع عصر التنوير مثلاً أعلى يضع كل عضو فى الأمة - حتى الملك - تحت طائلة القانون.



ولقد أغرت حجج مونتسكيو بشكل النظام الملكى المقيد عدداً كبيراً من المفكرين فى منتصف القرن الثامن عشر، من بينهم الفزوقراطيون ^(١) الذين يدافعون عن حرية التجارة والبرالية التجارية فى ظل النظام القديم، والذين ظلوا من أنصار النظام الملكى.

(١) الفزوقراطيون أو الطبيعيون: جماعة من علماء الاقتصاد ظهرت فى فرنسا فى منتصف القرن الثامن عشر وزعمت أن القيمة مستمدة من الطبيعة - ومن هنا اسمها - دعوا إلى حرية التجارة، كان فرانسوا كيناي مؤسسها وتورجو من أبرز دعاةها. (المترجم)

ثم بعد ذلك عندما تحركت المشاعر الديمقراطية والجمهورية عند جيل جديد من الثوريين استطاع هؤلاء أن يستمدوا لغة للرؤية من كتابات روسو، إلا أن معظم الشخصيات الرئيسية في عصر التنوير كانوا من المصحلين ولم يكونوا أبداً من الراديكاليين، ولقد بدا لهم أنه من الطبيعي أن يتجهوا بخطابهم وحججهم إلى أولئك الذين يمارسون السلطة.



العديد من فلاسفة التنوير - ومنهم فولتير وديدرو وهلقتيوس - سحرتهم لفترة من الزمن فكرة «المستبد المستنير»، أو ربما قلنا «الاستبداد المنور»؛ لأن الاستبداد المنور ليس نظرية سياسية، ولا حتى عند فلاسفة التنوير، لكنها فرصة مهمة في حياة الحاكم. ولقد كان من الناحية السياسية ثانوياً في فرنسا ولهذا فقد اتجهوا بفكرتهم لإصلاح الملوك إلى فردريك ملك بروسيا، وكاثرين ملكة روسيا اللذين مالا إلى التسامح، وأظهرا اهتماماً بالإصلاح العقلي للحياة السياسية، والقانونية، والاقتصادية.

فردريك الثانى: ملك بروسيا

فردريك الثانى (الأكبر) ملك بروسيا (١٧١٢ - ١٧٨٦) داعب خياله عدد من فلاسفة التنوير، فى عام ١٧٣٦ وكان لا يزال الأمير على عرش بروسيا كتب هجوما على ما كان يظن بصفة عامة أنه رواقية الفلسفة السياسية عند ماكيافيللى، وبرهن على اهتمامه بالفن، والموسيقى، والشعر، وكان فردريك قد بدأ المراسلة مع فولتير، ولقد كان فولتير مهتما بأن يعرف أصدقاؤه أن فردريك هو الذى بادر بالمراسلة.



فى صيف عام ١٧٥٠ أدار فولتير ظهره لباريس (التى لن يعود لزيارتها إلا بعد عودته المظفرة فى السنة الأخيرة من حياته) وبدأ ثلاث سنوات من الإقامة فى بلاط الملك فردريك الأكبر ، ولقد تحرر من الوهم عندما اكتشف أن الملك فردريك لم يقدر كثيرا أفكاره السياسية والفلسفية ، والواقع أنه لم تكن هناك خدمة تسدى إليه أفضل من إسعاد فردريك، وتصحيح أشعاره الفرنسية وامتدادها.

كاثرين العظمى: ملكة روسيا

كاثرين الثانية (١٧٢٩ - ١٧٩٦) التي اعتلت عرش روسيا عام ١٧٦٢ كانت لها آراء أشد رحابة؛ فقد أبدت تصميمًا لإحداث تغييرات كثيرة مطلوبة في البنى الروسية الاجتماعية والسياسية، وكانت قد تأثرت بمونتسكيو، وبالمفكر القانوني الإيطالي سيزار بيكاريا (١٧٣٨ - ١٧٩٤) واهتمت اهتمامًا عميقًا بما تمَّ إنجازه في «الموسوعة». وفي منتصف الستينيات (١٧٦٠) كان ديدرو على وشك الانتهاء من الموسوعة، وكان قد تلقى عددًا قليلًا من المميزات والشرف كما مرَّ بحقبة مظلمة من الشك العميق.



وبعد ذلك بضع سنين عمل ديدرو ملحقًا ثقافيًا غير رسمي عند الإمبراطورة كاثرين، وفي عام ١٧٧٣، أغرته الإمبراطورة بأن يقوم برحلة طويلة إلى سان بطرسبرج، وهي الرحلة الوحيدة ذات المغزى التي قام بها ديدرو خارج فرنسا.

صوّر ديدرو وضعه في روسيا على أنه وضع رجل أرسل عبر أوروبا لإرشاد الملكة، والقيام بدور سقراط مع ألقبيادس مع الملكة كاترين، لقد كان تحقيق تخیلاته أشبه بالحلم؛ فقد اعتقد - مثل غيره من مفكرى التنوير - أن التقدم الاجتماعى لا بد من أن يبدأ من أعلى، وأن على المصلحين أن يظفروا برضا الملك « فإلى مَنْ ينبغي أن يقدم الفيلسوف نفسه بقوة.. » وما كتبه في «صفحات ضد الطاغية» عام ١٧٦٩ «ما لم يكن إلى السيد؟»



كانت مجرد شائعات تلك التى تقول إن الإمبراطورة كانت تضع طاولة بينها وبين ديدرو لتحمى نفسها من تلميحاته النشطة.

إرشادات للإمبراطورة

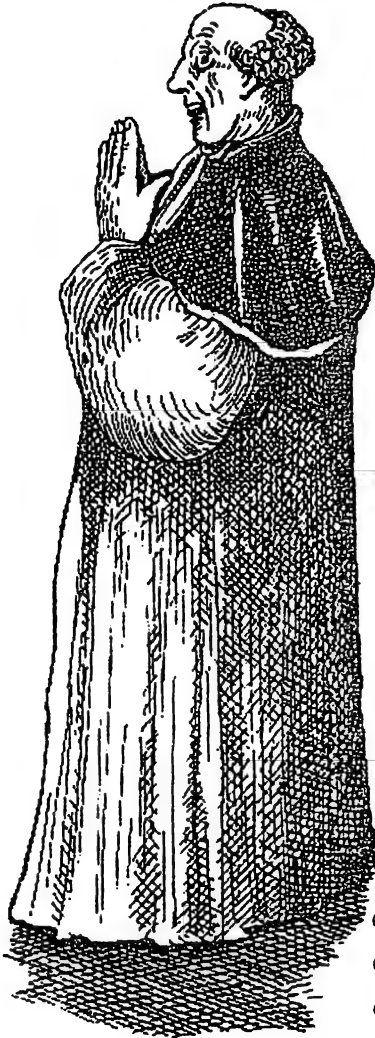
سمى ديدرو إلى أن يضر من جديد الطموحات التي استحوزت على هذه المرأة الهائلة العظيمة ، لكنها كانت من الذكاء والثقة بالنفس حتى أنها لم تتأثر بنصائحه. ولقد كتب ديدرو، فيما بعد، تفصيل مناقشاتهما معا.



يبدو لي أن مصدر كل سلطة سياسية ومدنية لا يمكن أن يكون سوى رضا الأمة.. فليست هناك سيادة حقيقية إلا سيادة الأمة، وليس ثمة مشرع حقيقي سوى الشعب... وسوف تكون القوانين عقيمة لا فائدة منها إذا كان هناك عضو واحد في المجتمع له الحصانة في انتهاكها.. الخط الأول في التصور السليم للقانون هو أنه ينبغي أن يكون ملزما للسيادة.

الكاهن.. والفيلسوف

الكاهن الذى يعتبر مذهبه الفلسفى نسيجا من
المستحيلات يميل سرا إلى تدعيم الجهل، فالعقل
هو عدو الإيمان.. والإيمان هو الأساس فى مركز
القسيس، ومستقبله ومكانته.



«يتحدث الفيلسوف حديثاً سيئاً عن القسيس أو
الكاهن، ويتحدث الأخير عن الفيلسوف حديثاً
سيئاً أيضاً. غير أن الفيلسوف لم يحدث أبداً أن قتل
قسا فى حين أن القسيس قتل عددا كبيرا من
الفلاسفة.. ولم يقتل الفيلسوف أبداً أحداً من
الملوك بينما قتل القسيس عدا كبيرا منهم..». ديدرو

الفلاسفة لن يشكّلوا أبدا فرقة دينية

«علينا أن لا نخشى أن يضر أى رأى فلسفى بديانة الدولة، على الرغم من أن براهيتنا تصطدم مباشرة بأسرارنا، فلا شىء من حيث الغرض لأن الأسرار لا يوليهها الفلاسفة المسيحيون احتراما أقل، وهم يعرفون جيدا أن موضوعات العقل وموضوعات الإيمان من طبيعتين مختلفتين أتم الاختلاف.

لن يشكل الفلاسفة أبداً فرقة دينية؛ وسبب ذلك هو أن كتاباتهم لا تتجه إلى الناس العاديين بما أنهم هم أنفسهم يخلون من الحماس.

لو أننا قسمنا الجنس البشرى عشرين قسما، فسوف نجد أن ١٩ قسما منها يشتملون على أشخاص يقومون بالعمل اليدوى، ولا يعرفون أبداً أن هناك شخصا يسمى «مستر لوك»، وفى القسم العشرين المتبقى سنجد عدداً قليلاً من القراء، ومن بين هؤلاء نجد نسبة عشرين شخصا يسلمون أنفسهم بالقصص الرومانسية إلى واحد يدرس الفلسفة، فالقسم المفكر من الجنس البشرى محصور فى نطاق عدد ضئيل جدا وهؤلاء لن يزعجوا السلام والطمأنينة فى العالم

لا مونتني، ولا لوك ولا بابل، أو إسبنوزا أو هوبز أو لورد شافتسبرى، ولا كولينز، أو تولاند - أشعلوا نيران الفتنة والشقاق فى بلادهم، فقد كان ذلك بصفة عامة من اختصاص رجال الدين الذين يتوقون فى البداية لرئاسة أحزاب دينية، لكن ماذا أقول؟ إن جميع أعمال الفلاسفة المحدثين إذا ما وضعت معا لن تثير على الإطلاق تلك الفتنة التى أثارها الجدل بين الفرنسيين حول قلنسوة الراهب وأكمام ثوبه...».

«عن مستر لوك» بقلم فولتير فى «رسائل فلسفية» من إنجلترا (١٧٣٣).

كتب فردريك الأكبر إلى فولتير يقول:

«مبنى الخرافة بدأت أسسه تترنح وتميل إلى السقوط، وسوف تكتب الأمم فى تاريخها أن فولتير كان المثير والمعرض على الثورة التى نشبت فى عقول الناس إبان القرن الثامن عشر...».



الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا

الكنيسة الكاثوليكية فى فرنسا أصابها مرض خطير، فقساوسة الأبرشيات يعيشون فى فقر مدقع، يؤدون عملهم دون مساعدة من رؤسائهم، فى حين أن الأساقفة وهم فى العادة من أسر نبيلة يعيشون فى قصور فخمة، والكثيرون منهم أهملوا واجباتهم وتركوا أحرارا فى اعتناق معتقدات أرثوذكسية.

وربما لم يكن سلوك الكاهن فى القرن الثامن عشر أسوأ مما كان عليه فى القرون السابقة، والقصص التى تروى فى الحانات منذ العصور الوسطى قد خلفت حصيلة زاهرة من الشخصيات.



فالرهبان الفاسقون الماجنون، والراهبات الشهوانيات، والأساقفة العاجزون جنسيا، مصابون بأمراض جنسية، ورئيسات الأديرة يمارسن السحاق ويستسلمن «لجنون الرحم». وكان الكاهن هدفا سهلا للوشاية، وكثيراً ما ظهر فى الأدب المكشوف الذى انتشر فى عصر التنوير.

عصر التنوير بوصفه عصر الإيمان

الهجمات المتكررة على سلطة الكنيسة الكاثوليكية بقيادة فلاسفة التنوير يمكن أن تعطى الانطباع بأنه كان هناك موقف قوى، بصفة خاصة، ومزاج مكافح ومناضل إبان عصر التنوير، والواقع أن الأمم المختلفة في أوروبا، في القرن الثامن عشر، رأت أن مؤسسات الدولة تظفر بالسلطة والنفوذ على حساب الكنائس القائمة سواء أكانت كاثوليكية أم بروتستانية.

وسوف يكون من الخطأ أن نرسم صورة للقرن الثامن عشر على أنه القرن الذي كان فيه الإيمان في حالة دفاع مستمر ضد المسيرة المتقدمة الظافرة للعقل. لقد شهد عصر التنوير أيضا تطور حركات دينية قوية.



(١) الميثودية Methodism : طائفة بروتستانتية أسسها جون وزلى J. wesley (١٧٠٣ - ١٧٩١) عام ١٧٤٠ في محاولة لإحياء كنيسة إنجلترا وهي تؤكد على الأخلاق الفردية والمسئولية فردية وجماعية . (المترجم)

(٢) الحسدية أو الحسيدية Hasidism: هي مذهب في الباطنية اليهودية يحاول العودة إلى النقاء الأول وعدم التأثر بديانات الأغراب وعاداتهم . (المترجم)

الضرورة الاجتماعية للدين

هناك حكاية ظريفة - من المحتمل أنها منتحلة - انتشرت انتشارا واسعا تقول إن فولتير كان قد دعا مجموعة من فلاسفة التنوير إلى منزله في فرني للسمر. وكانت هذه المجموعة تتحدث بحرية وبصراحة عن الإلحاد، وفجأة طلب فولتير من الجميع الصمت كما طلب من الخدم الخروج من الغرفة، ثم برر هذا الحذر فيما بعد بسؤال: «أتريدون أن تقطع حناجركم الليلة؟»



وضع الخوف من جهنم

على الرغم من أن فولتير وكثيرين غيره من فلاسفة التنوير شكوا في الحقائق التي يدافع عنها اللاهوتيون، فإنهم رغم ذلك شعروا بأن الدين من المحتمل أن تكون له ضرورة اجتماعية، فالخوف من جهنم والعقاب الأزلي لا يزال يعمل كأداة مؤثرة في الضبط الاجتماعي، كما لاحظ إدوارد جيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤) في كتابه: «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦^(١).

النماذج المختلفة من العبادة المنتشرة في العالم الروماني اعتبرها الشعب كلها صحيحة على قدم المساواة، واعتبرها الفلاسفة كلها زائفة، واعتبرها الحكام كلها مفيدة على قدم المساواة.

لا يمكن لجمعية الملاحدة أن تعمل إلا إذا كانت مستعمرة صغيرة من الفلاسفة...
ربما لا يوجد علاج آخر لمرض التعصب سوى أن نقوم بتنوير الناس أنفسهم.



(١) ترجمه إلى العربية لويس إسكندر وراجعه أحمد نجيب هاشم وأصدرته الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عام ١٩٦٩. (الترجم)

الكنيسة، والدولة، والحقوق المدنية

كان التسامح الديني يصعب على العديد من الحكام إنجازه من الناحية الرسمية؛ فالغالبية العظمى من الولايات يحكمها ملوك يستمدون مشروعية حكمهم - على الأقل في جانب منه - من ولائهم لكنيسة معينة. فملك فرنسا الذي كان رعاياه يشكلون عددا كبيرا من البروتستانت، يقسمون في أثناء حفل التتويج أن يستأصلوا الهرطقة البروتستانتية، وملك إنجلترا كان الرأس الديني للكنيسة، وملك بروسيا كان الأسقفى الأعلى في الكنيسة اللوثرية.



أصدر الإمبراطور جوزيف الثاني في عام ١٧٨٢ منشور التسامح الذي أعطى ليهود النمسا عددا من الحريات المدنية المهمة.

(١) ماريا تيريزا (١٧١٧ - ١٧٨٠): ارشيدوفه النمسا وملحه هينغريا وبوهيميا، زوجه الإمبراطور

فرنسيس الأول، والدة ماري أنطوانيت، ورثت عرش أستراليا بعد وفاة أبيها. (المترجم)

(٢) جوزيف الثاني (١٧٤١ - ١٧٩٠): ملك ألمانيا (١٧٦٤ - ١٧٩٠) ورأس الإمبراطورية الرومانية

المقدسة (١٧٦٥ - ١٧٩٠) ابن فرانسيس الأول وماريا تيريزا، يعتبر أحد الطغاة المستبشرين في القرن الثامن عشر: ألغى القنائة، وأصلح نظام الضرائب، ونشر التعليم، ورفع القيود عن التجارة. (المترجم)

اعتلى فردريك الثانى العرش فى عام ١٧٤٠ السنة نفسها التى اعتلت فيها ماريا تريزا العرش، وعلى الرغم من أن فردريك كان رسميا رأس الكنيسة اللوثرية، فإنه شخصا كان رجلا ماسونيا غير مؤمن، ولقد حدد دوره بأنه الرابطة بين الجماعات الدينية المختلفة فى بروسيا، إلى الحد الذى جعله يفرض غرامات على بناء كاتدرائيات كاثوليكية جديدة فى العاصمة برلين عام ١٧٤٧. ولقد منعت بحوث الهرطقة، والمناظرات الدينية العامة، وفى عام ١٧٥٠ منح اليهود فى بروسيا حقوقا جديدة.



موسى مندلسون (١٧٢٨ - ١٧٨٦) مفكر وكاتب يهودى، نشأ فى بيئة فقيرة لكنه أصبح شخصية لامعة فى عصر التنوير فى ألمانيا، وكان هو نفسه ثورة أثرت فى المجتمع المسيحى فى برلين وجعلته يراجع موقفه من اليهود، لقد أمدَّ مندلسون صديقه كاتب الدراما جوتفريد لسنج (١٧٢٩ - ١٧٨١) بنموذج لمسرحيته «ناتان الحكيم».

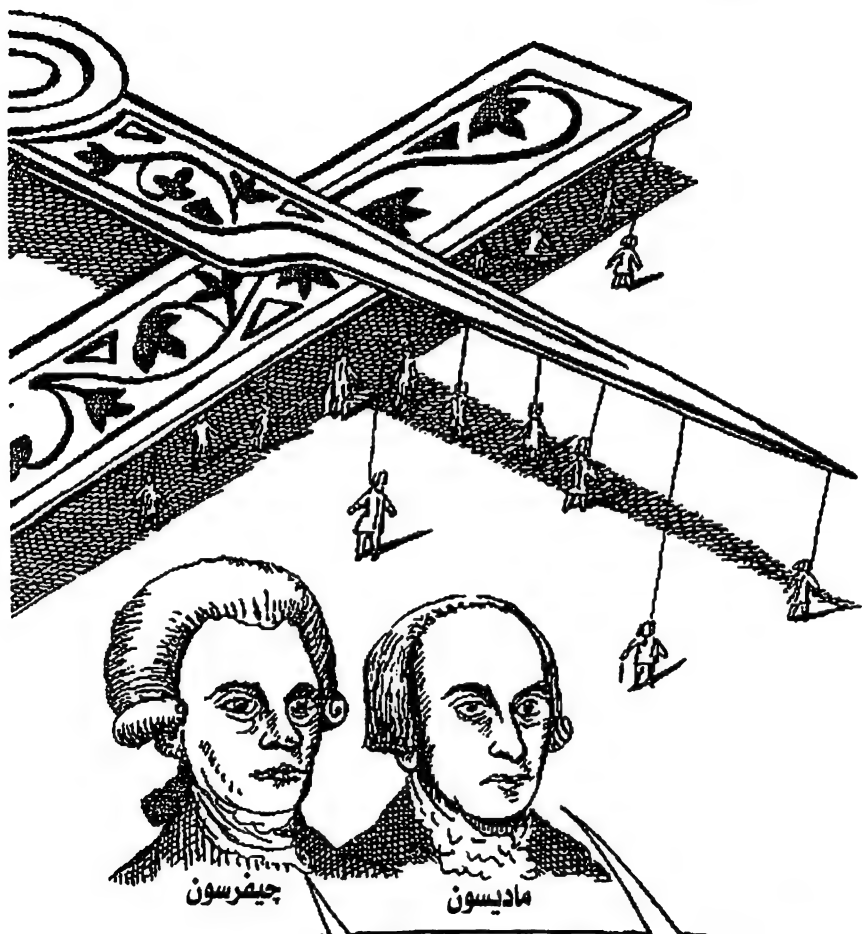
الماسونية

فى عام ١٧١٧ شهدت لندن إنشاء أول محفل ماسونى فى إنجلترا. ولقد حقق الماسونيون أهمية ملحوظة خلال القرن الثامن عشر، ويرجع جانب من نجاحهم إلى اشتراك الأرستقراطيين، بل أمراء من أمثال فردريك الكبير ملك بروسيا، وفرانسييس الأول ملك النمسا، وكان بنيامين فرانكلين وفولتير - لبعض الوقت - أعضاء فى محفل ماسونى واحد.



كانت الماسونية خليطاً من الشعائر الصوفية السحرية والدنيوية، والمثل العليا الكلية مثل: الإخاء والمساواة، والتسامح الدينى، والعقل، إلا أن الماسونيين أدينوا من البابا بندكت الرابع عشر عام ١٧٥١، كما كانت موضع ريبة سياسية فى الولايات الألمانية.

عندما استقر آباء الثورة الأمريكية - ومعظمهم من الماسونيين - على مسودة الدستور الأمريكية للولايات المتحدة لم يذكروا الله بكلمة واحدة، فتوماس جيفرسون (١٧٤٣ - ١٨٢٦)، وجيمس ماديسون (١٧٥١ - ١٨٣٦) سعيا بصفة خاصة إلى استبعاد الدين من الحياة العامة والسياسية.



لا تمتد السلطات المشروعة للحكومة إلا إلى تلك الأعمال التي تؤذي الآخرين فحسب، لكن لا يؤذيني في شيء أن يقول جاري إن هناك عشرين إلها، أو يقول لا يوجد إله قط، فلا هذه ولا تلك تسرق جيبي أو تكسر ساقى.

صانع الساعات العظيم

ينترب عصر التنوير شيئاً فشيئاً من التوحيد بين الله وقوانين الطبيعة، فهو انتظام الطبيعة الذي كشفت عنه علوم نيوتن، فهي التي زودتنا بأعظم تجل يوثق به للألوهية، فالكون كله بجماله، واتساعه، وتصميمه المحكم، يشهد بحضور الإله، ومهارته الفائقة فهو مثل الساعاتي العظيم، خلق العالم، ووهبه قوانين ثابتة لا تتغير، لكي تسير ثم تركه يسير.



مذهب الشك عند ديفيد هيوم

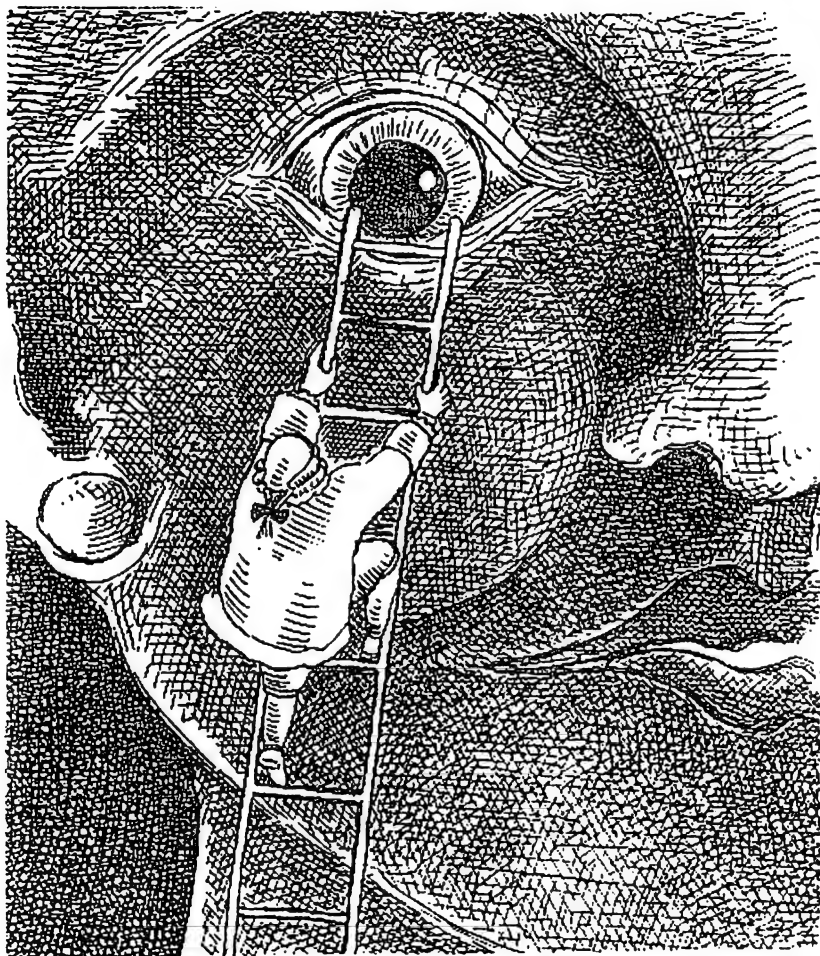
لقد كانت المشكلة هي أن التراث المسيحي يبحث عن برهان على ألوهية المسيح عن طريق المعجزات التي شهدت بها الأناجيل، فالمعجزات مثل قيامة ألعازر بعد موته، أو فكرة القيامة (أو البعث) نفسها، هي كلها تتورط في طرح قوانين الطبيعة نفسها التي كان الكثيرون في عصر التنوير شغوفين في التوحيد بينها وبين الله. ولقد ذهب ديفيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) - الشخصية الرئيسية في عصر التنوير في أسكتلندا - أبعد من معظم مفكرى ذلك العصر.



المعجزة انتهاك
لقوانين الطبيعة ،
والبرهان ضد
المعجزة، من طبيعة
الواقعة نفسها، تام
مثل أى دليل يمكن أن
تتخيله من التجربة.

دليلنا على حقيقة الديانة
المسيحية أقل من دليلنا
على حقيقة حواسنا.

كان ديفيد هيوم صانع معظم الهجمات المروعة ضد عقلانية الإيمان بالله، ربما أكثر من أى فيلسوف آخر، وكان عدد من الفلاسفة قبل هيوم قد اتهموا بالإلحاد، أما هيوم فقد كان أول فيلسوف عظيم يعترف بذلك، ولقد حاول أصدقاؤه إقناعه بعدم نشر كتابه الأول: «محاورات فى الدين الطبيعى»^(١) (عام ١٧٧٩) إيان حياته.



لم تكن لى أى حجة مع فكرة الخالق، إلا أن أى عبارة تدعى وصف خصائصه وصفاته لابد من أن تكون - قطعاً - عبارة غير منطقية؛ فلا يمكن الدفاع عن الإيمان بطريقة عقلية على الإطلاق.

(١) ترجمه الدكتور محمد فتحى الشنيطى، ونشرته مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٥٦ . (المترجم)

رسالة عن الطبيعة البشرية

اكتملت رسالة هيوم عن «الطبيعة البشرية» (١٧٣٩ - ١٧٤٠) عندما بلغ السادسة والعشرين من عمره، وكان عنوانها الفرعى يصفها بأنها: «محاولة لإدخال منهج الاستدلال التجريبي فى موضوعات أخلاقية»، فهى تمد وتطبق السيكولوجيا التجريبية التى كان جون لوك رائدا لها.



لقد شغى الناس الآن من توقعهم للافتراضات والمذاهب فى فلسفة الطبيعة، وسوف لن يصيخوا السمع لأية حجة أخرى سوى الحجة المستمدة من الملاحظة والمشاهدة. ولقد آن الأوان أن يجربوا إصلاحا مشابها بالنسبة لجميع المنازعات الأخلاقية، ويرفضوا أى مذهب للأخلاق، مهما كان خافيا أو بارعا، لا يتأسس على الوقائع والمشاهدات.

كان مذهب الشك عند هيوم متطرفا لدرجة أنه هدد بتقويض المفهوم نفسه الذى يستند إليه العلم نفسه ؛ وأعنى به مفهوم: السببية. فإذا أخذنا مثال كرة البلياردو التى يقذف بها على طاولة البلياردو، وهو يشير إلى أننا نستطيع تمييز السبب عن النتيجة، لكننا لا نستطيع أن نختبر «السببية».

فنحن نشاهد حركة كرة البلياردو الأولى (أو السبب إن شئت) وهى تندفع بأقصى سرعة نحو الكرة الثانية، نحن نشاهد حركة (أو نتيجة) الكرة الثانية بعد أن تكون قد

صدمت، لكننا لا نستطيع أن نعزل أو نخبر السببية نفسها.

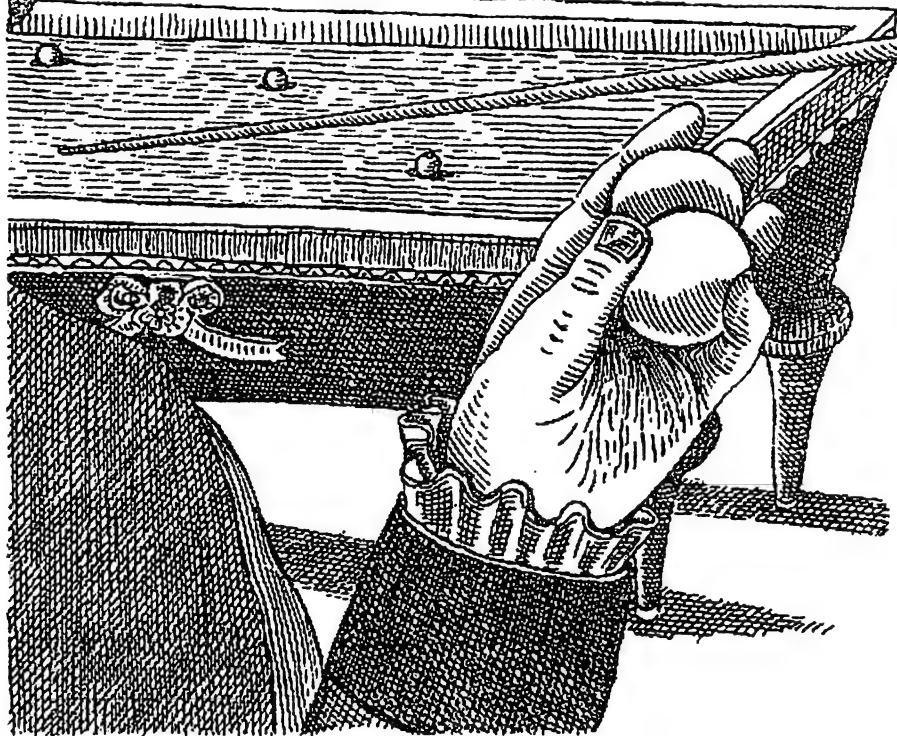
ويبدو العلم مرتكزا على أساس مهتز مثل أساس الدين.



مذهب الشك عند هيوم ليس فقط تهديدا لوحدة العالم الخارجى، بل عالم التجربة ذاتها، و«الذات» تتجزأ شذرات فى تأملات هيوم المرعبة، فهى تعرض نفسها لحزمة من الإدراكات الحسية، وترتبط كل تجربة جزئية بلحظة جزئية من الزمان، ولحظة بعد ذلك تخلق انطبعا مختلفا، ولا شىء يربط الإحساسين معا إلا العادة، «فالذات» ليست سوى فكرة مختلفة.

أين أنا، أو ماذا أكون؟ من أى الأسباب أستمد وجودى، وإلى أى الحالات سوف أعود؟.. أنا مرتبك مع كل هذه الأسئلة وبدأت أتخيل نفسى فى حالة يرثى لها، يملأنى ظلام عميق، محروم تماما من أى عضو وأية ملكة.

الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠) يعلق على ذلك بقوله فى الأجزاء المتأخرة من الرسالة نسى هيوم كل ما يتعلق بشكوكه الأساسية، وكتب مثل كثيرين من فلاسفة الأخلاق المستنيرين فى عصره، مطبقا على شكوكه العلاج الذى أوصى به، أعنى «الإهمال وعدم الاهتمام».



موسيقى عصر التنوير

مع ازدياد الحفلات الموسيقية العامة، وازدهار دور الأوبرا، قدّمت هذه بديلا عن الرعاية التقليدية التي كان يقوم بها البلاط والكنيسة. وكان للموسيقين الإيطاليين من أمثال أنطونيو فيفالدي (١٦٧٨ - ١٧٤١) ^(١) ودمينيكو سكارلاتي (١٦٨٥ - ١٧٥٧) ^(٢) القيادة المبكرة. كان فيفالدي غزير الإنتاج بالنسبة للموسيقى الدينية والأوبرا بما في ذلك أكثر من ٤٥٠ كونشرتو، أما سكارلاتي الذي كتب أكثر من ٥٠٠ سوناتا من أجل لوحة المفاتيح فقد كان ابن ألسندرو سكارلاتي (١٦٦٠ - ١٧٢٥) ^(٣) مؤسس



-
- (١) فيفالدي (أنطونيو) (١٦٧٨ - ١٧٤١): مؤلف موسيقى وعازف كمان إيطالي درس الموسيقى على أبيه، والتحق بسلوك الكهنوت عام ١٧٠٣. كان غزير الإنتاج إلى حد بعيد فقد وضع نحوًا من خمسين أوبرا، وألف أربعمئة كونشرتو أشهرها أربع تعرف باسم «التصور الأربعة». (المترجم)
- (٢) سكارلاتي، ألسندرو (١٦٦٠ - ١٧٧٥): مؤلف موسيقى إيطالي يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها، وأحد عمالقة الموسيقى العالمية. (المترجم)
- (٣) ألسندرو سكارلاتي (١٦٦٠ - ١٧٢٥) مؤلف موسيقى إيطالي يعتبر رائد الأوبرا الحديثة ومؤسسها وأحد عمالقة الموسيقى العالمية وضع ١٥٠ أوبرا وعددا من الألحان الدينية. (المترجم)

مدرسة نابليون في الأوبرا. وفي عام ١٧٣٥ تقاعد جيوفاني باتستا برجوليزي (١٧١٠ - ١٧٣٦)^(١) الذي عرف أنه سرعان ما سيموت واعتزل في دير ليكتب «الأم الثكلى Stabat Mater..» وهي قطعة حساسة من الموسيقى الدينية جعلته شهيراً.. وفي عام ١٧٥٢ مثلت له أوبرا كوميدية هي «السيدة - الخادمة» التي أشعلت في باريس نيران المعركة المعروفة باسم «حرب المهرجين» بين المؤيدين للجوانب التي تستحق الاحترام في الأوبرا الإيطالية الجديدة وأنصار الأسلوب الفرنسي الكلاسيكي في تراث جان - بابتست لولي (١٦٣٢ - ١٦٨٧)^(٢)، الذي كان ممثله الأساسي جان - فيلب رامو (١٦٣٣ - ١٧٦٤). ولقد اشترك الموسوعيون في هذه الجلبة فروسو الذي كتب معظم المقالات الموسيقية للموسوعة، كان أيضاً مؤلفاً لبعض الأوبرات الإيطالية الناجحة مثل «عراف القرية»، وكان دفاع روسو عن المذهب الطبيعي في الأوبرا مع الموسيقى التي تخدم العمل الدرامي - هو الذي طوره كريستوف جلوك (١٧١٤ - ١٧٨٧) الذي عمل في باريس وقتنا.

وكان كثير من الأعمال بطبيعتها دينية مثل «آلام المسيح وفق إنجيل متى» (عام ١٧٢٩) لـ ج. س. باخ (١٦٨٥ - ١٧٥٠)^(٣) إلا أن باخ كتب أيضاً موسيقى دنيوية مثل «كونشرتو براندنبرج عام» (١٧٢١) أصبح أبناؤه C. P. E. باخ و ج. س. باخ من أهم الموسيقيين في القرن الثامن عشر.

(١) برجوليزي (جيوفاني باتستا) (١٧١٠-١٧٣٦): مؤلف موسيقى إيطالي أصيب بالسل فمات في السادسة والعشرين من عمره. وضع عدداً من الألحان الكنسية ولكن شهرته تقوم على أعماله في حقل الأوبرا. (المترجم)

(٢) مؤلف موسيقى وعازف إيطالي الأصل أقام بفرنسا وأشرف على تكوين أوركسترا يضم أربعة وعشرين عازفاً للألات الوترية. (المترجم)

(٣) يوهان سباستيان باخ (١٦٨٥ - ١٧٥٠): يختم عصر الباروك في عالم الموسيقى، كتب الكثير من المطبوعات الموسيقية الدينية مثل: «آلام السيد المسيح وفق إنجيل القديس متى» و«موسيقى القداس» وغيرها. (المترجم)

فردرش هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) ^(١) وصل إلى إنجلترا عام ١٧١٠ فى السنة التى تأسست فيها دار الأوبرا فى كوفنت جاردن فى لندن، وكان هيندل قد استقر وضعه كموسيقار ألف خمسين أوبرا من الأسلوب الإيطالى، كما كتب أيضا عشرين من الأوراتوريو Oratorios ^(٢) وكان منها المسيح المنتظر التى مثلت لأول مرة فى دبلن عام ١٧٤٢ وكانت من أشهر أعماله، كما كتب موسيقى للاحتفالات الملكية، وسخر جون جاى (١٦٨٥ - ١٧٣٢) ^(٣) من موضة الأوبرا الإيطالية فى مسرحيته «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨ التى جسدت أغانى الشارع الشعبية فى ذلك الوقت.

ظل فرانز جوزيف هايدن (١٧٣٢ - ١٨٠٩) ^(٤) على مدى ثلاثين عاما يستخدمه الأمير إيسترهازي كتب فيها ١٠٤ سيمفونيات، و ٥٢ سوناتا للبيانو وأوبرات



وموسيقى للكورال. وكثير من فلاسفة التنوير سمعوا الصبي، الذى يبلغ من العمر سبع سنوات «فولفجانج أمادبوس موتسارت» (١٧٥٦ - ١٧٩١) وهو يعزف فى باريس، لقد مات موتسارت وهو فى فقر مدقع إلا أنه فى سنواته الأخيرة كتب سيمفونيات رائعة وأوبرات عظيمة «زواج فيجارو» عام ١٧٨٦، و«دون جيوفانى» عام ١٧٨٧ و«كوزى فان توت» عام ١٧٩٠ و«النابى السحرى» عام ١٧٩١ التى طبعت بطابعها عصر التنوير.

(١) جورج فردرش هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩): مؤلف موسيقى ألماني ضاق ذرعا ببلاط أمير هانوفر بألمانيا فرحل إلى إيطاليا ومنها إلى لندن عام ١٧١٠ التى أحبها وشعر أنه يستطيع أن يؤدى فيها دورا فى خلق الأوبرا خلقا متطورا وكتب كثيرا من الأوبرا منها أوبرا «بوليو قيصر فى مصر». (المترجم)

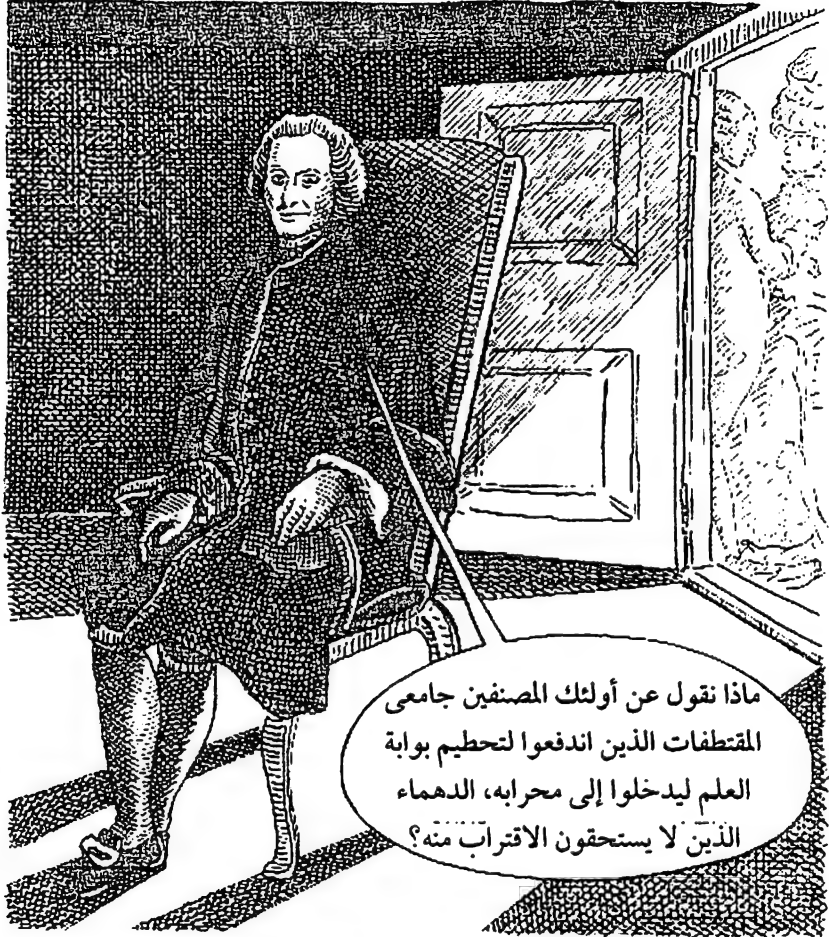
(٢) أوراتوريو Oratorio : لون من التأليف الموسيقى نشأ حوالى عام ١٦٠٠ ويتكون من نص دينى مسهب أعد إعدادا دراميا ويشارك فى أدائه المغنون الفرادى والكورال، ولا يحتاج إلى تمثيل ومناظر بل يؤدى فى الكنيسة تلاوة وإنشادا. (المترجم)

(٣) جون جاى (١٦٨٥ - ١٧٣٢): شاعر وكاتب مسرحى إنجليزى تمتع فى عصره بمكانة مرموقة، أشهر آثاره المسرحية «أوبرا الشحاذ» عام ١٧٢٨، وقد صور فيها التفسخ الخلقي فى المجتمع الإنجليزى. (المترجم)

(٤) فرانز جوزيف هايدن (١٧٣٢ - ١٨٠٩): موسيقار نمساوى بدأ فى التأليف الموسيقى وهو فى الثامنة من عمره، وفى نهاية حياته كان قد قدم أعمالا فى مختلف أنواع التأليف الموسيقى. (المترجم)

روسو المتوحش

حوّل روسو نفسه إلى عدو لدود «للتكلف» بكل أشكاله، ولم تكن عداوته للأغنياء واضحة فحسب (مما أخاف فولتير) بل امتدت إلى كثير من أتباعه من فلاسفة التنوير، وهم يستعرضون بضاعتهم العقلية.

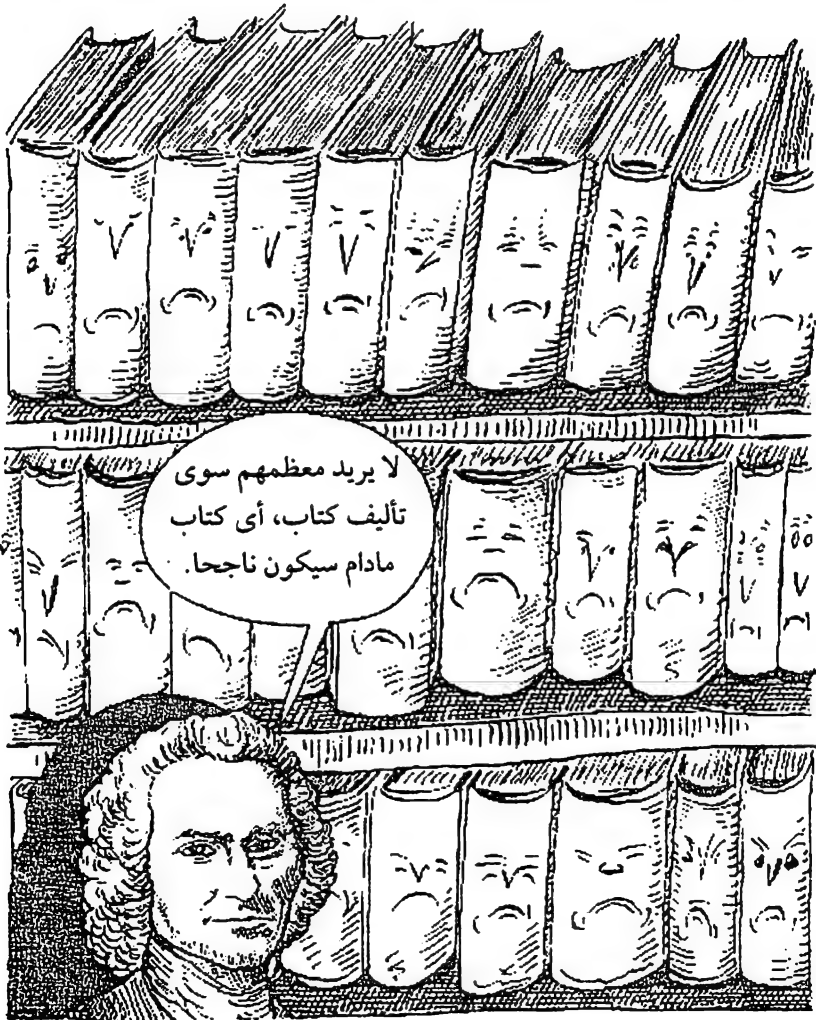


ماذا نقول عن أولئك المصنفين جامعي
المقتطفات الذين اندفعوا لتحطيم بوابة
العلم ليدخلوا إلى محرابه، الدهماء
الذين لا يستحقون الاقتراب منه؟

بدأ روسو في الخمسينيات (١٧٥٠) يخرج شيئاً فشيئاً من دائرة التعاطف مع جماعة هولباخ، أو باريس بصفة عامة، وكانت هناك معارك ساخنة «مع موسوعات» أخرى، «لقد سئم من رجال الصالونات والحفلات وملّ من أولئك الذين يريدون استعراض أنفسهم»، وشعر بالضيق من «المنشورات، والبيانو القديم، ولعب الورق، والكلمات المعسولة الغبية، ورواة الحكايات ومعدّي حفلات العشاء الفاخر» (١٧٥٦).

رحلة إلى الباطن

«لقد التقيت برجال كثيرين تعلموا في تفلسفهم أكثر منى، لكنهم فى تفلسفهم ظلت فلسفتهم خارجية عنهم، يرغبون فى أن يعرفوا أكثر من الآخرين، وهم يدرسون أعمال الكون، كما لو كانوا يستطيعون دراسة آلة عثروا عليها بسبب حب استطلاعهم المحض، ودرسوا الطبيعة البشرية ليتحدثوا عنها بلغة العارف بموضوعه، وليس لكى يعرفوا أنفسهم، ويوجهوا مجهوداتهم لإرشاد الآخرين، وليس لتنوير أنفسهم من الداخل....».



اعترافات روسو

يمثل روسو رجلاً أسكره تنوير بدليل، وهو رجل يصل إلى جمهور عريض؛ لأنه جمع أفكاره ووضعها في رواية من أكثر الروايات رواجاً هي «هلويز الجديدة» في عام ١٧٦١، ثم في رسالة تربوية تقرؤها كما لو كنت تقرأ قصة هي «إميل» عام ١٧٦٢ وكان جمهور القراء شغوفاً بقصة أخرى هي قصة حياته.

وفي يناير عام ١٧٦٢ استقر رأى روسو على أن يعرض نفسه على شكل سلسلة من الرسائل إلى «ماليشرب» وهي التي شكّلت فيما بعد نواة كتابه «الاعترافات» (عام ١٧٨١ - ١٧٨٨).



لم أكن أخشى أن يراني الناس كما أنا ؛ فأنأ أعرف عيوبي، وعلى وعي تام بخطاياي، لكنني يحدوني الأمل في الله العليّ القدير، كما كنت مقتنعا بأنني لم أجد من بين الرجال الذين عرفتهم طوال حياتي رجلاً أفضل مني.

كان فلاسفة التنوير جماعة علمانية اجتماعية مهذبة ، إلا أن روسو كان دائماً يحترق بنيران دينية ، وكان فلاسفة التنوير ينظر الواحد منهم إلى الآخر في صراع لتحديد الدفاع عن شريعة جديدة للفضيلة التي تكون حديثة وعامة. أما روسو فقد كان ينظر إلى الضمير على أنه المرجع الوحيد في مسائل الأخلاق.

ر. ديدرو صديقه من مثل هذا النوع من الذاتية.



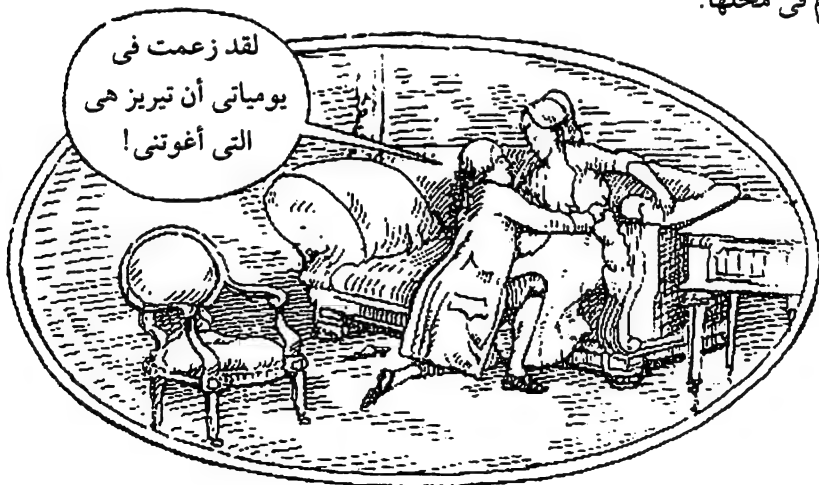
كنتُ على وعى تام بأنه مهما يكن ما تفعله
فسوف تجد أن شهادة ضميرك ستكون في
صفاك باستمرار.. لكن هل هذه الشهادة
كافية بذاتها، وهل هي تسمح بإهمال شهادة
الآخرين إلى حد معين؟

عنى روسو عناية فائقة بوجوده الباطني، وذلك دليل على استعداد الطبعي لجنون
غير أن الشخص المصاب بجنون العظمة يشعر أيضاً بالاضطهاد، وإن كان روسو
نبي بالفعل من الاضطهاد ثم جاء جنون العظمة ليزيد الأمر سوءاً، ففي لحظة من
ت كان منزله يقذف بالحجارة، وكان يتخذ ملجأً وملاذاً منزل سان بيير، إلا أن
بيرن طرده.

ثم بعد ذلك، في باريس عرض عليه ديفيد هيوم صاحب القلب الطيب المساعدة بأن يعثر له في إنجلترا على مكان يلجأ إليه.



لم تلحق تيريزا - زوجة روسو - به في لندن إلا فيما بعد. وعندما عرف هيوم أن مرافقها في السفر فاسق شهير هو جيمس بوزويل (كاتب سيرة دكتور جونسون) ارتعب من حادثة «قاتلة تمس شرف صديقنا» لقد انتزعناها من فم فحل الخيل، وكانت مخاوف هيوم في محلها.



الرومانسي الأول

عندما فسّر روسو لـ «مالشرب» قال له : «لقد فتشتُ عن مكان برّى في الغابة» في مكان في عزلة هائلة ضاعت روحه.. «لا أفكر، ولا أستدل، لكنني أشعر بنفسى بضرب من اللذة الحسية.. في تفكك جوهر الكون،.. نشوة حلوة وعميقة تمسك بالحواس حتى أنك تفقد نفسك، في لون من السكر اللذيذ، في ذلك النظام البديع الذي توحد نفسك معه، عندئذ تهرب منك جميع الأشياء الحزينة بحيث لا ترى ولا تشعر إلا بالكل».



آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠)

آدم سميث - مثل صديقه ديفيد هيوم - شخصية رئيسية فى التنوير فى اسكتلندا. كان الطفل الوحيد فى أسرة تعيش فى ظروف جيدة فى «كيركالدى» وهى قرية على شواطئ «فيرث فورث» كان والده موظفا فى الجمارك، توفى قبل ولادته بأشهر قليلة، فظل آدم قريبا من أمه طوال حياته. وقبل أن يتم الرابعة من عمره سرقته عصابة من الغجر، ومضى بعض الوقت قبل العثور عليه.

ولقد التحق سميث بكلية باليول بجامعة أكسفورد كطالب منحة عام ١٧٤٠ ، لكنه وصف الجامعة بأنها «غارقة فى المحظورات والتحاملات المجحفة».



كان معظم أساتذة
أكسفورد العموميين قد
توقفوا تماما - لعدة
سنوات - حتى عن
التظاهر بالتدريس.

صادت سلطات الجامعة نسخة آدم سميث من كتاب ديفيد هيوم الذى كان قد نشر حديثا وعنوانه: «رسالة عن الطبيعة البشرية» عام ١٧٣٩ ، الذى كان قد أعطاه له أستاذه فى جلاسجو الفيلسوف: فرانسيس هتشسون (١٦٩٤ - ١٧٤٦).

وعندما عاد آدم سميث إلى اسكتلندا ألقى سلسلة من المحاضرات العامة في الأدب الإنجليزي، وكان الموضوع جديداً تماماً، على جمهور يتألف من مائة من المواطنين، دفع كل واحد منهم جنيهاً لإنجليزيا، ثم ألقى في عام ١٧٥٠ - ١٧٥١ محاضرة عامة، في الاقتصاد، هو موضوع لم يسمع عنه قط في جامعة أكسفورد ولا في قاعاتها التي تتظاهر بالتقوى والصلاح، ولقد منحت هذه المحاضرات آدم سميث كرسيا في جامعة جلاسجو، أولا أستاذاً للمنطق، ثم بعد ذلك أستاذاً للفلسفة الأخلاقية.

وكان أندرو كوشران، رئيس مجلس مدينة جلاسجو، قد أسس لتوه ناديا للاقتصاد، وسجل سميث عضواً فيه.

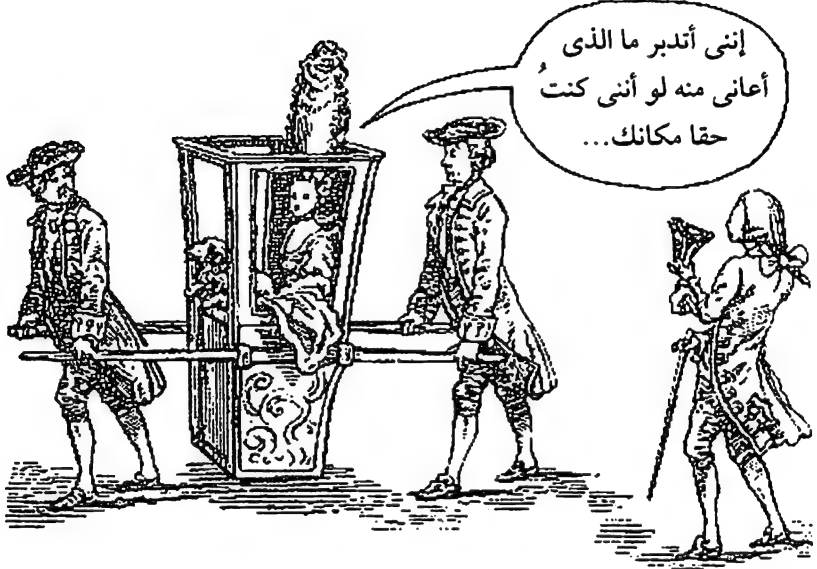
يهدف أعضاء النادي إلى البحث في مبدأ وطبيعة
التجارة بجميع أفرعها.



يهمهم الكثيرون منا اهتماما شديدا بتشجيع رفع القيود عن
التجارة؛ حتى نستطيع، بصفة خاصة، أن نستفيد من تجارة
الدخان والحديد مع المستعمرات الأمريكية.

نظرية عن المشاعر الأخلاقية

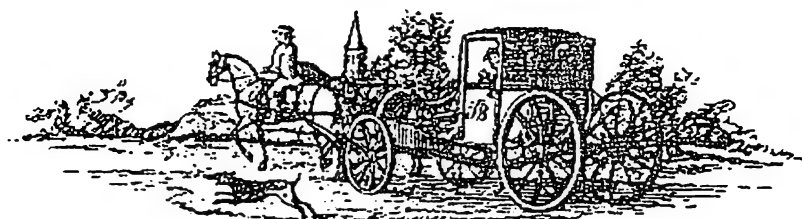
كان أول كتاب لـ «سميث» هو «نظرية عن المشاعر الأخلاقية» عام ١٧٥٩ وهو بحث قانون في فلسفة الأخلاق: طبيعتها وسيكولوجيتها، وهو يبين طريقة سميث في التفسيرات البسيطة للمشكلات المعقدة، فهو يصف المشاعر الأخلاقية بأسلوب بسيط من الكلمات . فهناك «رجل داخلي» ومشاهد محايد داخل كل منا يصدر الأحكام على كل ما نفعله من وجهة نظر الآخرين.



كتب ديفيد هيوم من لندن ليروى نجاح كتاب صديقه.

يبدو أن الجمهور استحسنته بشكل
يفوق الوصف: كان الحمقى ينظرون إليه
بنقاد الصبر، وبدأ جمهور الأدباء يمتدحونه
بصوت مرتفع.





تقاعد سميث من كرسي جامعة جلاسجو لكي يعمل معلما خصوصيا للشباب دوق «بوكلش» وبصفة خاصة ليصحب الدوق في جولة كبيرة في أوروبا^(١). وكذلك مقابلة فولتير في جنيف، وصديقه ديفيد هيوم في باريس، وكان سميث قد قبله فرانسوا كيناي (١٦٩٤ - ١٧٧٤) في المقابل الفرنسي للنادي الاقتصادي السياسي. وكان كيناي طبيب الملك، ويقوم في فرساي عن طريق مدام دي بمبادور.



ولقد أصبح تلامذة كيناي في الاقتصاد مشهورين فيما بعد باسم «الفزوقراط» الذين ذهبوا إلى أن الإنتاج - وليس التبادل - هو الذي يخلق الثروة والفائض المتاح للتراكم. ولقد شعر آدم سميث بأنه في بيته تماما وواصل العمل في كتابه الكبير: «ثروة الأمم».

(١) Grand Tout: رحلة تعليمية في أهم أنحاء أوروبا كان يقوم بها شباب الأشراف الإنجليز في القرن الثامن عشر. (المترجم)

ثروة الأمم عام ١٧٧٦

يفتح كتاب آدم سميث «ثروة الأمم» بمثال شهير عن مصنع دبايس يقوم في جلاسجو على أعمال الحديد التي تسمى «مصنع المسامير»، وقد استمتع بزيارته عندما كان طالبا في المدرسة، ولقد مكن تقسيم العمل عشرة من العمال من إنتاج ٤٨,٠٠٠ دبوس في اليوم الواحد.



لم يستحسن سميث تدخل الحكومة فيما رأى أنه الدينامية الطبيعية للعرض والطلب، فالتجارة الحرة هي حجر الزاوية في الاقتصاد السياسي عنده، ولقد قدم كتابه حججا لاستبعاد التعريفة الجمركية والرسوم، والاحتكارات، وتشجيع مشروعات السوق الحرة من جانب الأفراد، وفي هذه النقاط كان سميث على وفاق مع سياسة «دعه يعمل، دعه يمر» التي دافع عنها الفزوقراط.

الييد غير المرئية

بر سميث أن علاقات السوق تشجع حرية الأفراد كما تعمل على حرية الأمم،
ن تفاعل السوق؛ أى عملية البيع والشراء، يصبح العامل الفقير حراً فى
الأجور، وأن يترك الظروف الصعبة ويبحث عن ظروف أفضل.



لقد حَلَّت نشأة الحضارة التجارية
علاقات الاعتماد، والرعاية، والقنانة،
التي تميز بها عصر الإقطاع.

كان العمال كأفراد - والطبقة العاملة بالكامل - معانون من زيادة فى التعامل
هم مع ذلك يتمتعون بتحسين مطلق فى مستوى معيشتهم، وعلى ذلك فإنه
من أنه يقع على عاتق الأفراد السعى لتحقيق مصالحهم الخاصة، فإن النظام
وجود يد خفية غير مرئية تقدم مصالح المجتمع، ويتصالح التفاوت
مع مؤن كافية للفقراء.

سميث و روسو

أدرك سميث أن هناك جانبا مظلما فى تقسيم العمل، وبما أن العامل كان محصورا فى بعض عمليات غاية فى البساطة، فلا بد له من أن يصبح فى النهاية «غبيا وجاهلا بمقدار ما يمكن للموجود البشرى أن يصبح كذلك». وتفسيره لانتزاع الجانب الإنسانى واضح للغاية كأى تفسير حديث للاغتراب الصناعى.

الناس فى المجتمع الصناعى
الحديث جعلوا من أنفسهم
عبدا، بأن أصبحوا مدمنين على
الترف، وبمضاعفتهم للحاجات
المزيفة التى خلقوها.



أنا لا أشاركك القلق مسيو روسو،
فأنا أزعم أن حرية الفرد لا يمكن
التنازل عنها.

لو أن الناس اختاروا لظلوا على مسافة من «المتحدر الوعر للمجتمع» عن طريق حكمهم على سلوكهم من منظور الهيمنة للمشاهد غير المتحيز، وبالطريقة التى سبق أن لخصها فى كتابه «نظرية عن المشاعر الأخلاقية».

سميث وروسو يمثلان معا رواية التاريخ البشرى الذى تتشابك فيه الأخلاق والاقتصاد، انتقال الجنس البشرى من البساطة المتوحشة إلى العالم الحديث: عالم الملكية الخاصة والتكلف واللامساواة

لقد تصور سميث «حالة الطبيعة» الأصلية حالة من الندرة. فالحرية البشرية لا تنتج إلا من التطور التاريخى الحزوني الذى يؤدى فيه التعاون والتبادل إلى تقسيم العمل وخلق الفائض.



آدم سميث عن السوق فى الأفكار يقول : «فى المجتمع التجارى أو الشرى فإنه إلى جانب أنه: لكى تفكر أو يظهر الاستدلال فإنه مثل أى وظيفة أخرى: عمل جزئى تقوم به مجموعة ضئيلة جدا من الناس الذين يزودون الجمهور بجميع الأفكار والاستدلال التى تملكها مجموعات هائلة من البشر هى التى تعمل. وهناك فقط جزء صغير جدا من معرفة أى شخص عادى هذا الذى يقوم بالمشاهدة الشخصية والتأمل، أما بقية الأجزاء فقد اشتراها كما يشتري حذاءه أو جواربه من أولئك الذين يصنعونها أو يجهزون للسوق تلك الأنواع الخاصة من السلع».

صاموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) (١)

ولد جونسون ابنا لبائع الكتب في «ليثفيلد» ، وكان قارئاً جيداً بالفعل عندما ذهب إلى أكسفورد، إلا أن ضيق ذات اليد اضطره للانسحاب من الدراسة، لكنه تلقى درجة الدكتوراه في النهاية عام ١٧٦٤ وسره أن يصبح «دكتور جونسون»



عمل جونسون وعاش في غموض نسبي، فقد بدأ حياته من الصفر صحفياً و مترجماً في برمنجهام قبل أن يستقر في لندن عام ١٧٣٧ حيث أصبح في النهاية شخصية أدبية لامعة، ولقد عمل منذ عام ١٧٤٦ حتى عام ١٧٥٥ في أكثر مشروعاته طموحاً: «معجم اللغة الإنجليزية» الذي كتب فيه هو نفسه أكثر من ٤٠٠٠٠ مادة مدرجة من المعجم، وكان استخدامه المسرف للاقتباسات الأدبية، تجديداً حقيقياً في «معجم جونسون» ظل مصدر

ثقة حتى ظهور معجم أكسفورد للغة الإنجليزية عام ١٨٨٤.

لقد خلّده في كتابي «حياة صاموئيل جونسون» عام ١٧٩١ ثمرة عشرين عاماً من الصداقة، رغم أنها غير متكافئة.



وفي عام ١٧٦٤ أسس جونسون «النادي» الذي نعم فيه بصحبة رجال من أمثال يشوع رينولدز، ورجل البرلمان إدموند بيرك، والكاتب المسرحي أوليفر جولد سميث.

(١) صاموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) : كاتب وشاعر وناقد وصحفي ومعجمي إنجليزي يعرف عادة بـ «الدكتور جونسون» بسبب الدكتوراه الفخرية التي منحتها إياها جامعة دبلن (عام ١٧٦٥) وتلك التي منحتها إياها جامعة أكسفورد عام ١٧٧٥ ، يعتبر أحد أبرز وجوه الحياة الأدبية في القرن الثامن عشر، أشهر آثاره معجم اللغة الإنجليزية عام ١٧٥٥ . (المترجم)

سميث ينضم إلى نادى دكتور جونسون الأدبى

فى ربيع عام ١٧٧٣ ذهب آدم سميث إلى لندن مع ما اعتقد أنه مخطوطة تامة لكتابه «ثروة الأمم» ، وهناك كان يتناول طعام العشاء مع دكتور جونسون، وإدموند بيرك، وإدوار جيبون، وديفيد جاريك، وسير يشوع رينولدز، وأوليفر جولد سميث.

كان بينامين فرانكلين
موجودا فى لندن فى
محاولة ليتفادى
كارثة انفصال
المستعمرات
الأمريكية عن الوطن
الإنجليزى الأم.

التمرد الأمريكى
الذى كان
حديث الساعة
فى المشكلة
الكبرى جعل
أحد الأسئلة
دراميا فى قلب
كتابى: مسألة
حرية التجارة

أحضر سميث
كتاباه
فصلا فصلا
لكى تناقشه.



بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠)

كان بنيامين فرانكلين - بطريقته الخاصة - مثالا نموذجيا لساكن الغابة في عصر التنوير، «المشوحش النبيل»، علّم نفسه حتى أصبح عالما يهتم بكل شيء. اكتسبت تجاربه في الضوء والكهرباء أهمية رمزية لعصر استحوذت عليه قوى جديدة في العلم والتكنولوجيا. لعدة عقود نشر فرانكلين: «تقويم ريتشارد المسكين» تقاطع بين الموسوعة والصحيفة ومجموعة من الأمثولات التي تستهدف مساعدة الإنسان لنفسه والتحسين



لقد كان فرانكلين يُعرف في صالونات باريس بأنه الفيلسوف التنويري والعالم الحقيقي حتى قبل أن تصبح الثورة الأمريكية سبباً للشهرة والإثارة في أوروبا.

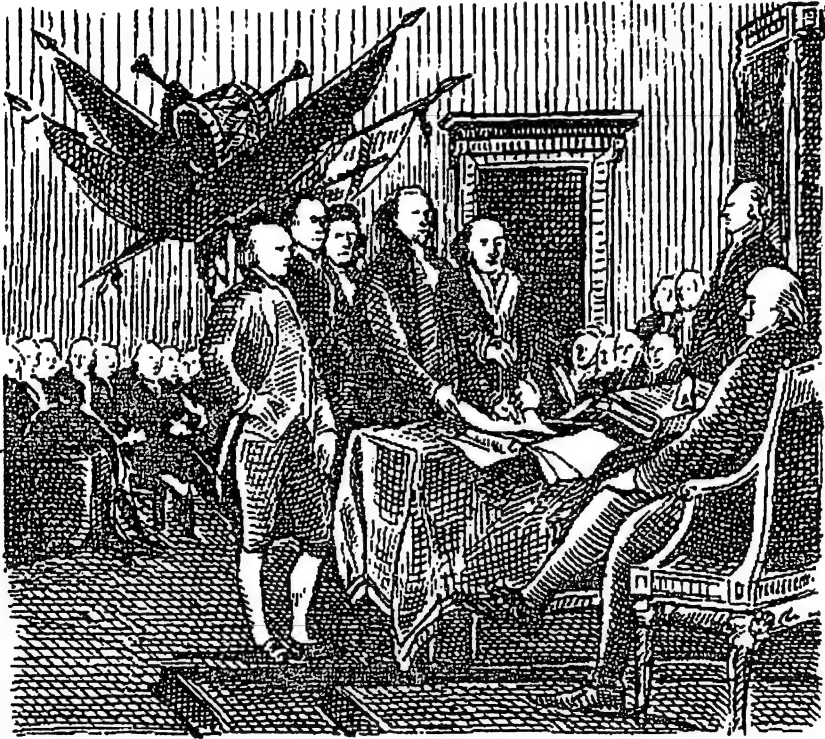
الثورة الأمريكية

الإيمان بتفاوت لا حد له في التقدم وفرص المساواة وجد أرضا خصبة في أمريكا في القرن الثامن عشر، التي ظهرت لتجسيد عصر التنوير في حالة فعل.



إعلان حقوق الإنسان

كان سكان المستعمرات الأمريكية ينظر إليهم على أنهم متمردون مكروهون، ولقد ظلوا لعدة عقود يقدمون التماسات وتوسلات للحكومة الإنجليزية يطلبون منها فقط أن تسمح لهم بالحرية نفسها التي يتمتع بها الرعايا الإنجليز في وطنهم. ثم في النهاية أشعلوا حرب الاستقلال، وبدأ «إعلان الاستقلال» بصوته المدوي، وصياغته التي لا تنسى، بعرض لمبادئ كان جون لوك أول من أكدها في عصر الثورة المجيدة في إنجلترا.



« نحن نؤمن بأن هذه الحقائق واضحة بذاتها وهي أن الناس جميعا ولدوا متساوين وأن الخالق وهبهم حقوقا معينة لا يمكن التنازل عنها، من بينها: الحياة، والحرية، وحق البحث عن السعادة ».

لم يتحدث جون لوك إلا عن الحياة، والحرية، والملكية الخاصة، لكن في «أرض الفرص» حتى هؤلاء مع ملكية ضئيلة يمكنهم البحث عن السعادة، وحتى الثوريين الأمريكيين المكروهين كانوا محظوظين، فلم يلتقوا أبداً بمشهد الجوع والجماهير نصف العاطلة، ففي العالم الجديد حتى الفقير كان قادراً على أن يجد تربة صالحة وبالتالي يهرب من البؤس والظلام اللذين كان يعاني منهما الكثيرون من سكان أوروبا. عندما لاحظ بنيامين فرانكلين حالة فقراء باريس، وجد نفسه يفكر كثيراً في سعادة إنجلترا الجديدة.

حيث يكون كل إنسان مالِكًا حراً، له صوت في الشؤون العامة، يعيش في بيت دافئ مرتب، لديه وفرة من الطعام.



في العالم القديم الذي يسكنه عشرون مليوناً من البشر يوجد تسعة عشر مليوناً أشد بؤساً وأكثر لعنة في كل ظروف الوجود البشري من أي فرد بائس في الولايات المتحدة كلها.

الفقير والعبيد

لم يكن العالم الجديد بلا فقر، فالواقع أن الآباء المؤسسين كانوا مقتنعين بأن التفرقة بين الغنى والفقير تفرقة أزلية . لقد سعوا للقيام بثورتهم وهم يحملون هذا الإيمان، وفيما بعد إبان الثورة الفرنسية، ساعدت مطالب أكثر أجزاء المجتمع بؤسا في التعجيل بأقصى درجات العنف إبان عهد الإرهاب.



كان توماس جيفرسون هو المؤلف الحقيقي
«لإعلان حقوق الانسان» يملك عبداً شأنه شأن
بقية الآباء المؤسسين، غير أنه أزعجته واقعة
الرق في بلاد تنأسس على حقوق كلية.



كنتُ أرْتعد خوفا على بلادي عندما أفكر أن الله عادل أو أن عدالته لا يمكن أن تنام
إلى الأبد . التجارة بين السيد والعبد هي الاستبداد، ولم يكتب شيء في كتاب القدر
أشد يقينا من أن هؤلاء الناس ينبغي أن يتحرروا.

إدانة الرق

اتبع ممثلو عصر التنوير المتعددون نموذج مونتسكيو وأدانوا الرق، بوصفه ممارسة لا تليق بالإنسان المتحضر، كما أنها تسيّر في معارضة الإيمان المستنير بالجانب الإنساني المشترك.



غير أن المعارضة المبدئية للرق جاءت أساساً من بين الإنجليز من الكويكرز، وكذلك المنهجين أو الأنجليكان^(١)، الذين أدانوا الرق واعتبروه خطيئة، وفي عام ١٧٨٧ ظهرت جمعية إلغاء الرق في بريطانيا، ثم تبعتها بعد عام جمعية أصدقاء السود في فرنسا.

(١) الإنجلي: هو الواعظ البروتستانتي، والميثوديون أو المنهجون: طائفة بروتستانتية، أما الأنجليكان: فهم أتباع كنيسة إنجلترا. (المترجم)

دفاع عن الرق

كان الدفاع عن الرق في جميع قطاعات المجتمع أكثر شيوعاً عما يمكن أن يعترف به - بصفة عامة - جيمس بوزويل. بعد روايته لمعارضة صموئيل جونسون للرق، رجا أن نترك حتى الآن «احتجاجه الخاص الرهيب ضد نظريته العامة في احترام تجارة الرق».

إلغاء وضع صادق عليه الله في كل العصور وواصله الإنسان لن يكون سرقة فحسب لطبقة لا حصر لعددها لزملائنا من الرعايا، بل ستكون قسوة متناهية للمتوحشين الأفارقة، سيوفر على جزء منهم مجزرة أو عبودية لا تحتمل في وطنهم هم، ويدخل في حالة أكبر من السعادة في الحياة لا سيما عندما ينقلون إلى الهند الغربية ويعاملون معاملة إنسانية.



إمانويل كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤)

جاء عصر التنوير فى ألمانيا متأخرا لكنه أنتج عمالقة فى الفلسفة من أمثال إمانويل كانط، الذى بدأ بتراث الميتافيزيقا من ذلك النوع الذى رفضه فلاسفة التنوير الفرنسيين من الناحية التجريبية. عرض كانط آراءه فى كتابه الرئيس «نقد العقل الخالص» عام ١٧٨١ الذى ينظم حدود الميتافيزيقا ويزودنا بأساس نقدى لنوع من المعرفة نستمد منه العلم الطبيعى.



لقد سعت أيضاً إلى أن أقدم أساساً
للثورة فى عالم الأخلاق والعادات التى
أشترك فيها مع روسو.

كانف كانط لحل التوتر الذى أدى إلى الفُرقة بين روسو والموسوعيين، إلا أن هذا التوتر ظل واضحاً فى تفرقة كانط المطلقة بين ما يمكن لنا معرفته علمياً - عالم الظواهر أو الظاهريات - والعالم الداخلى أو النيومين: عالم القانون الخلقى.

كان التزام كانط بالعقل، وبالسلاط، وبالتقدم، وبمجموعة كاملة من البحو
 معه فى صف واحد مع القادة من فلاسفة التنوير، لكن ما يميز كانط كفيلسوف
 : مؤلفاته النقدية، ويجعله معارضا تماما لروح فلاسفة التنوير، هو طموحه
 ب فلسفى كامل تام وشامل. لقد اعتقد كانط - نتيجة لنبذه كل نتائج الميتافيزيقا - أن الحقيقة أصبحت الآن هدفا يمكن بلوغه «قبل نهاية القرن الثامن عشر».



طريق النقدى هو وحده الذى لا يزال مفتوحا، وإذا كان لا يزال لدى القارئ
 بر ليسير بصحبتي فى هذا الطريق فإنه الآن قادر على أن يحكم ما إذا كان..
 طع إنجازه قرون عدة يمكن الآن بلوغه قبل نهاية القرن الحالى؛ أعنى إعطاء ال
 ى الرضا التام عما كان باستمرار يشغل فضوله لكنه ظل حتى الآن عبثا.

ما المقصود بعصر التنوير؟

في عام ١٧٨٤ كان عصر التنوير قد بلغ مائة عام من عمره، وقد سألت إحدى الألمانية قراءها الإجابة عن هذا السؤال وهو: ما المقصود بعصر التنوير؟ وكانت هناك إجابات متعددة من قادة الثقافة في ألمانيا، ومن بينهم كانط ح الآن شهيراً كأستاذ للفلسفة^(١).

لتنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذي اقترفه في حق نفسه، وهذا القصو ه عن استخدام عقله إلا بتوجيه من إنسان آخر.



نشر قسيس بروتستانتي مغمور مقالاً في «مجلة برلين الشهرية» تساءل فيه عن معنى التنوير، والفيلسوف اليهودي موس مندلسون (١٧٢٩ - ١٧٨٦) للرد عليه بمقال «حول السؤال: ما التنوير؟» نشر كانط مقاله الذي يشير إليه المؤلف قبل أن يطلع على مقال صديقه مندلسون، راجع في كله ترجمة مقال كانط: ما التنوير؟ في الكتاب التذكاري للدكتور زكي نجيب محمود الذي أصدره جامعة الكويت عام ١٩٨٧. (المترجم)

«تشجع واعرف! فلتكن لديك الشجاعة لاستخدام عقلك»، هذا هو شعار كانط لعصر التنوير، وكلمات كانط تلخص رؤية يشاركه فيها العديد من القادة المثقفين ومن الباحثين والعلماء في القرن الثامن عشر. ثم استمر ليسأل: ما نوع القيود السياسية التي تشكل عقبة أمام التنوير؟
إن الاستخدام العام لعقل المرء لابد من أن يكون حراً على الدوام، وهو وحده الذي يمكن أن يكون مستنيراً بين البشر.



لو أننا تساءلنا: هل نعيش الآن
في عصر مستنير؟ لكان
الجواب: لا، وإنما نحن نعيش
بالفعل في عصر التنوير.

معارضة عصر التنوير

كان نجاح عصر التنوير عظيماً، حتى أنه يصعب أن نجد شخصاً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر لا يشارك في آفائه ولا في تحاملاته. لم يأت ردّ الفعل لثقة عصر التنوير في العقل من الديانة الأرثوذكسية وحدها، بل أيضاً من أحلام «السكر الإلهي» عند أشخاص مثل «هامان» أو «بليك» اللذين كان لهما تأثير دائم حتى ولو كان من تحت الأرض.

لم يكن هناك أحد أشدّ شراسة في معارضته لعبادة العقل المنتشرة في ذلك الوقت من وليم بليك (١٧٥٧ - ١٨٢٧) ^(١)، كان بليك متحمساً للثورة الفرنسية بقدر ما كان قلقاً من الثورة الصناعية، ولقد فضح «طواحين الظلام الشيطانية» والبؤس البشري الذي يعاني منه جماهير العمال الذين تكتظ بهم المصانع. وفي عام ١٧٨٩ - وهو العام الذي نشبت فيه الثورة الفرنسية - نشر وليم بليك «زواج الجنة والنار» وهو كتاب شعر يعارض الحكمة العقلية.

يؤدى طريق الإفراط
إلى قصر الحكمة.

تمور الغضب أكثر حكمة من
خيول التهذيب والإرشاد.



(١) شاعر ورسام ومتصوف إنجليزي، غلبت الرمزية على آثاره وبخاصة المتأخرة منها. أشهر أعماله الشعرية «أغاني البراءة» عام ١٧٨٩، و«أغاني الخبرة» عام ١٧٩٤. قام بعمل رسومات مائة ملحمة دانتي «الكوميديا الإلهية» عام ١٨٢٥. (المترجم)

ولقد ردَّ بليك بعنف - فى تفسيره «لمقالات» سير يشوع رينولدز - على معالجة عصر التنوير للخيال، ففى رأى بليك أن رينولدز أسس نفسه على بحث إدموند بيرك عن «الجليل» الذى يقوم بدوره على أساس فلسفتى فرانسيس بيكون وچون لوك.



«سخرُوا من الإلهام والرؤيا، وهما كانا موجودين وهما الآن كذلك، وآمل أن يظلا كذلك أيضاً عنصرى، وموطنى الذى أعيش فيه للأبد.... حماسى هو كل شىء». لقد دمرت فلسفة بيكون إنجلترا، كما دمرت الفن والعلم. اللهم احفظنا..

من الرؤية الواحدة ومن غفوة نيوتن!..

وليم بليك: من رسالة إلى توماس بطس. فى ٢٢ نوفمبر عام ١٨٠٢.



فى لغة رؤاه الكاشفة للغيب شخّص بليك المجتمع بأنه مجتمع الآلات الذى ردت أفكاره المادية والحتمية الإنسان إلى مجرد آلة.

كلما أدرت عيني فى مدارس وجامعات أوروبا، رأيت نول لوك لحمته الغضب والكآبة تغسله دواليب الماء لتيوتن: نسيج أسود فى سحابة كثيفة من الدخان تطوق كل أمة، رأيت أعمالاً قاسية تقوم بها كل عجلة، بدون عجلة، تروس العجلة، حركة قاسية حيث تضغط كل منها على الأخرى...

چورچ هامان (١٧٣٠ - ١٧٨٨)

فى عام ١٧٦٨ وفى مدينة كوجسبرج، وفى حديقة التاجر الإنجليزى مستر جرين، قال كانط إن علم الفلك قد بلغ تلك الدرجة من الكمال التى تجعل من غير الممكن أن يتقبل افتراضات جديدة. إن كانط الذى كانت عقليته ترتاح للنظام يمكن أن يقبل واقعة أن العلم يبدو أنه انغلق على هذا النحو.

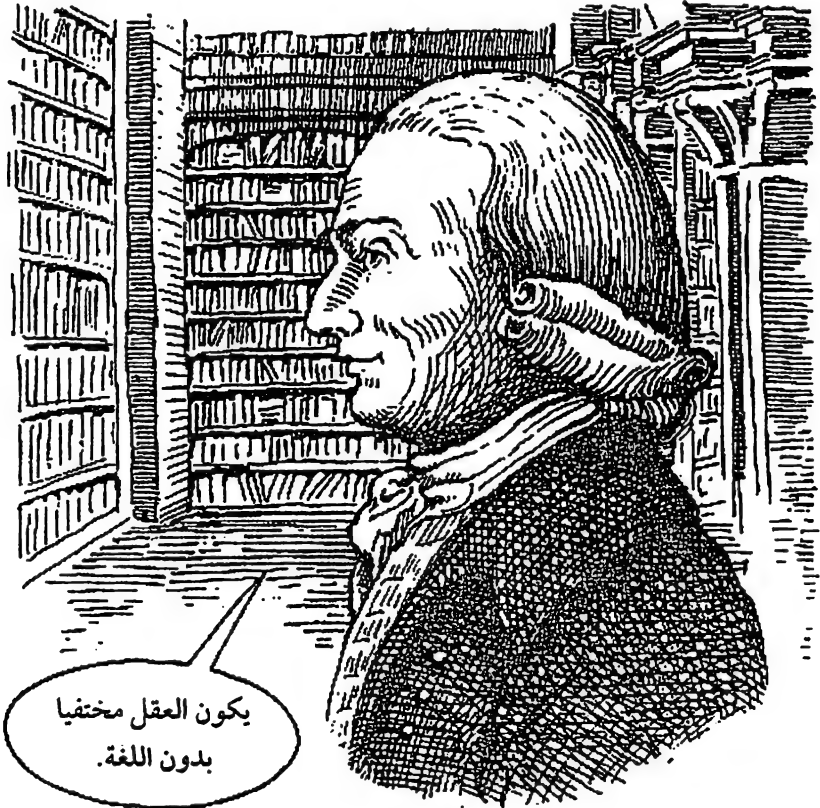


إننى أنظر إلى أفضل برهان فى الفلسفة على أنه أشبه بالفتاة الرشيد التى تنظر إلى الخطاب الغرامى بلذّة لكن بريبة.

اللغة، أوجانون^(١) العقل

فى حين أن بليك كان غاضبا من الطريقة التى هبط بها عصر التنوير فى تقديره للخيال، فإن هامان قد اعتقد أن عصر التنوير جعل من نفسه سخرية عندما تغاضى عن دور اللغة.

كل حديث عاطل عن العقل هو قبض الريح، فليست القدرة على التفكير كلها متوقفة على التفكير فحسب، وإنما اللغة هى أيضاً، مركز سوء الفهم للعقل مع نفسه.



أنا على وشك الظن بأن فلسفتنا بأسرها تحتوى على قدر من اللغة أكثر من العقل، وسوء الفهم للعديد من الكلمات، ولقد خلق تشخيص التجريدات التعسفية عالما كاملا من المشكلات حاولت عبثا حله على نحو ما خلقته.

(١) الأوجانون Organon ؛ أى الأداة أو الوسيلة أو الطريقة. (المترجم)

العاصفة والاندفاع

على الرغم من تشجيع فردريك الأكبر ملك روسيا، فإن عصر التنوير فشل في أن يتقدم في عملية الترقيع في الإمارات التي تتحدث اللغة الألمانية. قادته مجموعة من «الشباب الغضاب» الذين ابتكروا بدعة جديدة للاحتجاج العاصف والانفعال الكثيف، وهى التى تعرف اليوم باسم «العاصفة والاندفاع» بعد مسرحية «الاضطراب أوالعاصفة والاندفاع» التى كتبها فردريش كلنجر (١٧٥٢ - ١٨٣١) عرف باسم عصر العبقرية افتتحه بكتابه «المذكرات السقراطية» عام ١٧٥٩، لم يزدهر إلا لفترة قصيرة فى السبعينيات.



مزقنى العذاب أشلاء وهو يمكن أن يغمر أى إنسان آخر، كنت أود فى كل لحظة أن أطرح الإنسانية وجميع الكائنات الحية، وأن أنفخ فى العماء ليلتهم كل شىء، وأن يتقض على بعدها.

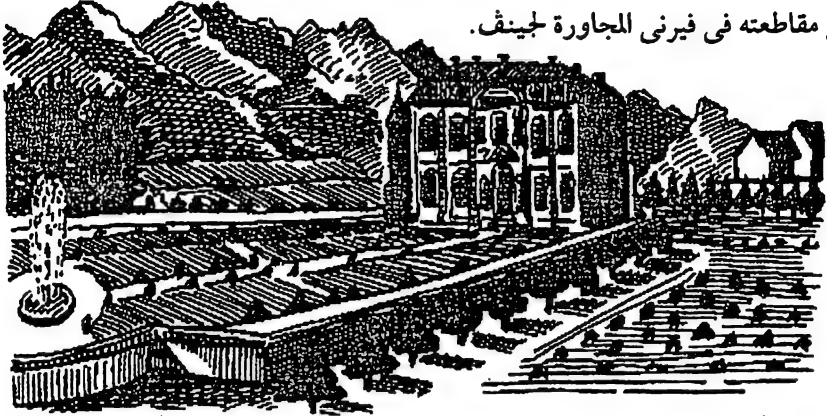
القصة العظيمة « للعاصفة والاندفاع » هي قصة «آلام الشاب فترتر» عام ١٧٧٤- التي كتبها جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) - فالبطل المكتئب الذي مارس الانتحار، الشاب فترتر، يكنس بقدمه كل أوروبا المتعلمة!



هذه القصة، بل الحركة ككل قد تأثرت بعمق بروسو، فقد احتقر شباب هذه الحركة عقلانية فلاسفة عصر التنوير وتبنوا أخلاق وديانة الطبيعة عند روسو .
وعندما كبر الممثلون «للعاصفة والاندفاع» فى السن، أصبحوا عمالقة الكلاسيكية الألمانية، وأصبح الجيل الأصغر من الكتاب (الذين اشتركوا فى الحلقات نفسها) الرومانسيين الألمان.

ڦولتير فى فيرنى

الاستثمارات المالية الحكيمة لڦولتير ونجاحه ككاتب جعلاه رجلا فاحش الثراء، لقد استقر فى فرنسا مرة أخرى لكن قرب الحدود استعدادا للهرب السهل، فبنى قصيرا أنيقا فى مقاطعته فى فيرنى المجاورة لجينف.



كان ڦولتير ابتداء من عام ١٧٦٠ يعقد جلسات فى قصره، فأصبح موضع حب استطلاع أوروبا، و الأماكن التى لا بد من زيارتها فى الرحلة حول عواصم أوروبا التى يقوم بها الشاب المثقف، ولقد واصل ڦولتير - فى سبيل تغيير المجتمع - قذف الجمهور بالكتب الرخيصة الصغيرة التى تحتوى على خطب لاذعة، وبحوث، ومقالات فى الصحف وتعليقات.



إن عشرين صفحة من المجلدات لا تستطيع أن تحدث ثورة، مع أن الكتب الصغيرة هى التى يخشى منها وهى الكتب التى توضع فى الجيب، الكتب التى يسهل حملها، والتى تباع بثلاثين سو^(١) ولو أن الأناجيل كانت قد بيعت بـ ١٢٠٠ سسترس^(٢) ما كان يمكن للديانة المسيحية أن تنتشر.

(١) السو Sou : عملة فرنسية قديمة ضئيلة القيمة . (المترجم)

(٢) السسترس Sesterce : عملة رومانية قديمة . (المترجم)

رجل واحد: منظمة عفو دولية

ولقد وصل إلينا حوالي ١٥ مليون كلمة مما كتبه فولتير وهي كافية لعمل عشرين نسخة من الكتاب المقدس، ولقد قيل عن فولتير إنه أكثر من أن يكون رجلا من رجالات الأدب؛ فهو من ناحيته يختلف عن مونتسكيو، وديدرو، ورسو الذين اكتفوا بتنوير وإشعال عقول الناس من خلال كتاباتهم فحسب.



البراءة المقهورة كانت تحركني،
وكان الاضطهاد يجعلني ساخطا
وناقما بعنف.

أعظم كتبي هي تلك التي
نالتى منها خير ضئيل.

عندما علم فولتير أن هناك أقتانا يعملون في مقاطعات قريبة من مقاطعته شن حملة لتحريرهم. على الرغم من حملته المستمرة لصالح حرية التعبير والتسامح الديني، فإن فولتير لم يكن مصلحاً اجتماعياً، لقد تبني قضايا فردية خاسرة فدافع عن أي فرد يعتقد أنه كان ضحية ظلم، أو بتعصب أعمى ديني أو أحكام مبتسرة. ولقد كتب أحد المعجبين يقول إن موقف فولتير يمكن تلخيصه على النحو التالي: «إنني أستهجن ما تقول ولا أوافق عليه، لكنني سوف أدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله».

لقد تساءل فولتير: «ماذا يعني أن تكون حراً؟ إنه يعني أن تستدل استدلالاً صحيحاً، وأن تعرف حقوق الإنسان، وعندما تعرفها جيداً فسوف تدافع عنها».

الرعا ع

هناك موضوع واحد تذبذب فيه فولتير مثل غيره من فلاسفة التنوير - وهو معالجة الجماهير. لقد قدمت كتابات ديدرو مقتطفات كثيرة عن موضوع الغوغاء كحقيقة من حقائق الحياة، ولن تجد أحدا يواجهه - دع عنك أن يواجه المشكلات التي أثارها النظرية السياسية عن طريق أخطار وفرص «التعليم». كتب ديدرو يقول - في رسالة إلى صوفي فولاند في ٣٠ أكتوبر عام ١٧٥٩ : « الشعب أحقق جدا في تصرفاته، غليظ القلب للغاية، بائس للغاية ، مشغول جدا عن أن ينير نفسه». وتحت مادة «الموسوعة» في الموسوعة ذاتها كان هناك مكان إستراتيجي ليكتب ديدرو مثل هذه الملاحظة:

«الجموع الغفيرة من النوع لم تخلق لتتابع ولا لتعرف مسيرة الروح البشرية.

أكثر من نصف العالم الصالح للسكنى لا يزال تسكنه حيوانات تسير على قدمين تعيش في ظروف مرعبة تقترب من حالة الطبيعة.. تعيش وتموت عمليا دون أن نعرفها».



ولم استطع فولتير أن يتنبأ بأن هؤلاء «الرعا ع» «الغوغاء» - بما تحمله من سخط عميق، وأنصاف المتعلمين، الذين طردهم عام ١٧٦٧ سرعان ما ينسلون طبقة «اللامتسرولون»^(١) وهم الجمهوريون المتطرفون في أثناء الثورة الفرنسية.

(١) اللامتسرولون Sans - Culottes : تعبير استخدم أيام الثورة الفرنسية ليصف أبناء الطبقة الدنيا من الجمهوريين الفرنسيين المتطرفين . (المترجم)

أزمة فى النظام القديم

عندما اعتلى الشاب لويس السادس عشر العرش فى عام ١٧٧٤ كان أول شخص يقوم بتعيينه هو فيلسوف التنوير آن روبير چاك تورجو (١٧٢٧ - ١٧٨١) (١) الذى كانت له مهام متميزة فى الخدمة العامة، فقد طور تورجو برنامجا للإصلاح الاقتصادى.

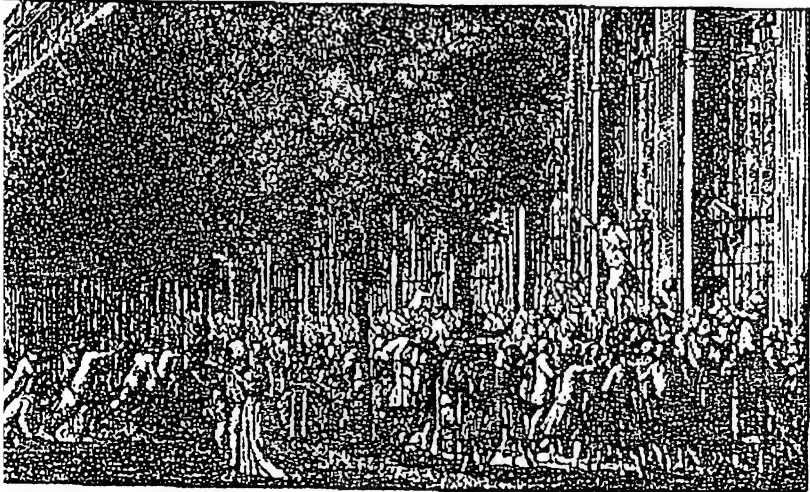
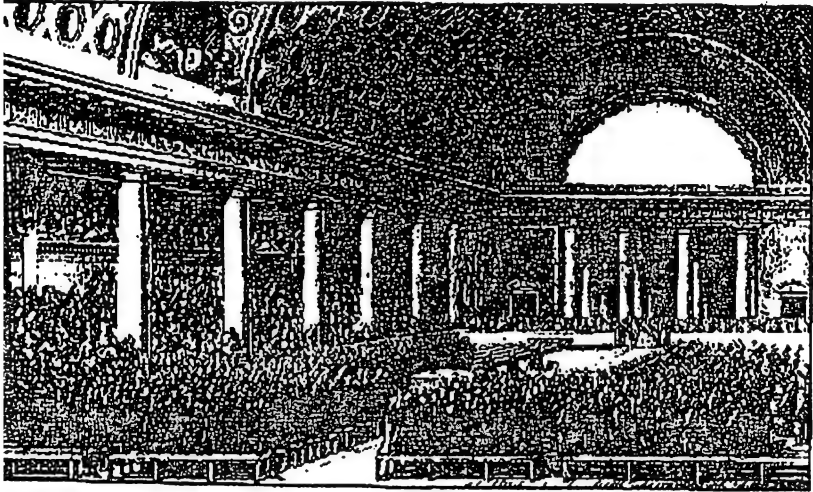


بعد أقل من سنتين أعفى تورجو من منصبه، وأصيب فلاسفة التنوير بالهلع، ولجأوا بعد نصف قرن إلى النقاش والنقد لتغذية روح الإصلاح، لكن حتى أمثال هذه الشخصيات المحترمة والخبيرة مثل تورجو لم تستطع أن تبقى فى معارضة القوى الرجعية الراسخة، وكما قال فولتير «إن إقالة مثل هذا الرجل العظيم: تورجو، صدمتى، ولم أتابع الأحداث منذ ذلك اليوم المميت أو أسأل أى إنسان عن أى شىء، وانتظرت صابرا من سيأتى ليقطع رقابنا».

(١) آن روبير چاك تورجو (١٧٢٧ - ١٧٨١): سياسى وعالم اقتصاد فرنسى ووزير المالية (١٧٧٤ - ١٧٦٠) فى عهد الملك لويس السادس عشر، يعتبر أحد أبرز زعماء مدرسة الفيزيوقراط التى دعت إلى إلغاء القيود المفروضة على الاقتصاد، حاول إصلاح الاقتصاد الفرنسى بتشجيع الصناعة وإطلاق حرية التجارة ومقاومة الاحتكارات، وقف ضده الأرستقراطيون فأقاله لويس السادس عشر. (المترجم)

الثورة الفرنسية

فى عام ١٧٨٩ - وفى محاولة يائسة لمعالجة الأزمة المالية - اضطر لويس السادس ، استدعاء مجلس طبقات الأمة، وهو مجلس وطنى يمثل ثلاث طبقات فى المجدسى: طبقة رجال الدين، وطبقة النبلاء، وعامة الشعب، ولم يكن هذا المجلس مع منذ ١٧٥ سنة. ودارت مناقشات حامية حول كيفية قيام المجلس بمهامه أدت ان شعبى وفى النهاية إلى قيام الثورة، وقد انشق ممثلو العامة ليشكلوا «الجمهورية».



وفى ١٤ يوليو عام ١٧٨٩ هاجمت الحشود الباريسية الغاضبة سجن الباستيل. ومع نهاية شهر أغسطس كانت الامتيازات الإقطاعية التقليدية قد ألغيت وأصبح «إعلان حقوق الإنسان والمواطن» قانونا، كما أعلن أن الحقوق الطبيعية للإنسان مقدسة ولا يمكن التنازل عنها، ومنها: « الحرية، والملكية، والأمن، ومقاومة الظلم والقهر».



وفى إعلان حقوق الإنسان سجلت المثل العليا لعصر التنوير وقدمت إلى العالم، وظلت فرنسا للسنوات العشر القادمة تعاني من العنف الثورى مما اضطرها إلى أن تدافع عن نفسها ضد هجمات بعثة دول أوروبا. وكان اعتلاء نابليون للسلطة عام ١٧٩٩ يعنى أن الثورة، ومعها كل تراث عصر التنوير، قد تعرضت للهجوم والاعتداء.

نهاية عصر التنوير

قلة قليلة من فلاسفة التنوير الذين خلقوا عصر التنوير عاشوا أو رأوا الثورة الفرنسية، غير أن الثورة قام بها شباب أصغر سناً، أما صورتها المتطرفة فقد قام بها قادة من البعاقبة من أمثال: مكسيميليان روبيسبير (١٧٥٨ - ١٧٩٤)، ولويس أنطوان دي سان جوست (١٧٦٧ - ١٧٩٤)، مهندساً عهد الإرهاب (١٧٩٣ - ١٧٩٤) اللذان اعتبراً نفسيهما وكلاء لجان چاك روسو.

فى خطبة له فى مايو ١٧٩٤ شرع روبيسبير يأخذ بثأر روسو من فلاسفة التنوير المتكلفين، الذين تكاتفوا لاضطهاده.

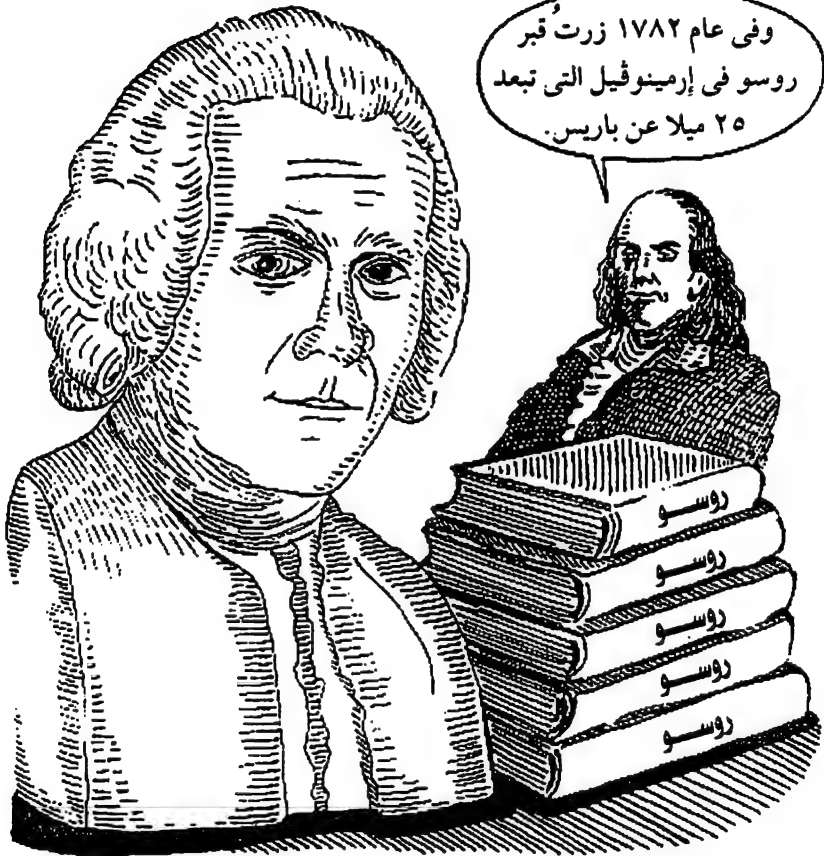


لقد كتب روسو عن الفضيلة بوصفها «العلم الجليل للروح البسيطة» وهو يفتح كتاب «إميل» بهذه الكلمات: «كل شيء حسن إذا ما ترك كما صنعه يد الخالق، وكل شيء تفسده يد الإنسان».

(١) سان جوست (١٧٦٧ - ١٧٩٤): أحد قادة الثورة الفرنسية كتب - دعماً للثورة - كتابه: «روح الثورة ودستور فرنسا» عام ١٧٩١، كان عضواً فى «لجنة الأمن العام» (١٧٩٣ - ١٧٩٤) وصديقاً حميماً لروبيسبير، قبض عليه معه وأعدما بالجيلولتين - المقتولة. (الترجم)

تأليه جان چاك

بعد وفاة روسو - عام ١٧٧٨ - بقليل سرعان ما اكتسب روسو هالة الخلود وهو الذي كان يتحاشاه الكثيرون إبان حياته؛ وتم تشييد تمثال له في جنيف، وفي عام ١٧٨١ جمعت مجموعة من الألحان التي كتبها روسو وأهدتها أرملته إلى ملجأ اللقطاء، وكان من بين المشاركين في الاكتتاب الملكة ماري أنطوانيت وبنيامين فرانكلين.



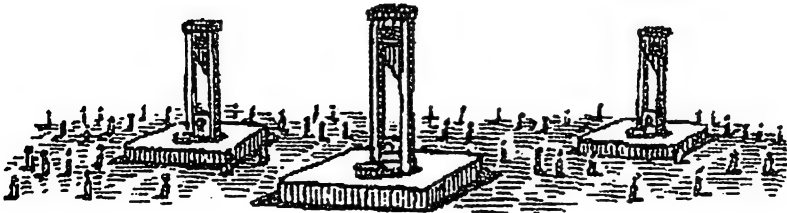
إيمان روسو بجنون العظمة واعتقاده في الاضطهاد أثار حفيظة فلاسفة التنوير الغيورين . هذا الشعور جعل العديد من الكتاب يشعرون بالاعتراب ويعتقدون أنهم لم يقدروا من الهيئات الأدبية الباريسية ولقد أصبح روسو إلها عند أنصاف المتعلمين، وعلى وجه التحديد عند روبسبير وغيره من المتطرفين الراديكاليين. كان روسو إبان حياته هائما على وجهه، يعامل معاملة سيئة، يتجنبه الناس، ثم أصبح فجأة نبهم وسلواهم.

الجمهورية المثالية

بعد مرور عام على سقوط الباستيل - وفي أثناء الاحتفال بعيد ١٤ يوليو عام ١٧٩٠ - حمل تمثال نصفي لجان جاك روسو متوجاً بالغار، في استعراض في شوارع باريس تحمله وترعاه ٦٠٠ فتاة بالفساتين البيضاء و فرق من رجال الحرس أسلحتهم أكاليل من الزهور... وفي شهر أكتوبر نقل رفاته من إرمونفيل لكي يدشن في «البانثيون».. Pan-théon^(١).



امتزج العمل السياسي بالنقاش العام في عملية، على الرغم من أن فلاسفة التنوير لم يتنبأوا بها فإنها كانت من إلهامهم، إلا أن الحرب تهددت الثورة من الخارج، كما تهددتها من الداخل مطالب الفقراء الغاضبة. وسرعان ما أصبح كل مبدأ خاضعاً للبقاء القومي، وأدخلت الجمهورية مبدأ حق الانتخاب الديمقراطي، ففرضت ضوابط ثمينة على اهتمامات الفقراء؛ خاصة في المدن، وأطلقت العنان لعهد الإرهاب ضد «أعداء الجمهورية».



(١) ضريح خاص بعظماء الأمة في باريس. (المترجم)

على الرغم من تطرف تحليلاته الفلسفية؛ فإن روسو كان أى شىء إلا أن يكون ناشطا سياسيا؛ فقد كان يخشى الاضطرابات السياسية التى تنبأ بها، لقد رأى رويسير وسان جوست اللذان اعتقدا أنهما مخلصان لروسو أن فرنسا الثورة هى تجسيد للمدنية المثالية المكافحة فى أحلام روسو، ولقد أصبحت الجمهورية المكافحة بالفعل موضع المجتمع الأخلاقى الجديد.



فى الفترة من أبريل إلى يونيو عام ١٧٩٤ كانت المحكمة الثورية قد أدانت ١٤٠٠ من الشعب وحكمت عليهم بالإعدام عن طريق الجيلوتين (المقصلة).

مشروع عصر التنوير: انتهى أم لا...؟

مبادئ عصر التنوير فى النظام والتقدم والثقة فى إمكان التحكم فى الطبيعة والتاريخ، والثقة فى الحس المشترك والطبيعة البشرية العامة يمكن أن يوضع على نحو يخلق تضليلاً فخوراً حقاً بل حتى خطراً. لقد رسم القرن التاسع عشر صورة كاريكاتورية لقضية المذهب الرومانسى والثورة، لقد شهد عصرنا - عصر ما بعد الحداثة - انهيار «الحكايات العظيمة» - حسب ما تقول الكلمات الشهيرة لجان فرانسوا ليوتارد - التى دفنت المبادئ المكتسحة، هل انتهى مشروع عصر التنوير أم ليس بعد؟!

لقد مرت الثورة الفرنسية بتجارب عبر أوروبا بوصفها أعمق وأعظم أزمة عقلية وروحية، لقد حل صراع وانقسام محل الإحساس بالغرض المشترك الذى كان يتميز به مثقفو عصر التنوير، لقد كانت لحظة القطيعة روحية (ومنسجمة) فى المذهب الرومانسى (وفى فلسفة هيجل) لقد ناصر القرن التاسع عشر «الحكايات العظيمة» بمحاولاته إعادة خلق متصل للتقدم التدريجى، فى النماذج العلمية الجديدة للمذهب الوضعى، والمذهب الاشتراكى، والمذهب التطورى التى اعتقد حقاً أنها «حديثة».

لقد عرف رجالات عصر التنوير أنفسهم بأنهم «محدثون» وكانوا أول من اكتشف بالتفصيل ماذا يعنى ذلك، لقد كانت حداثتهم ساذجة فيها براءة الطفولة، ومن ثورة ١٧٨٩ إلى الثورات البيضاء عام ١٩٨٩ - عبر قرون الاستغلال والغزو الاستعماري - ظلت الحداثة متشابكة على نحو مؤلم بالدم والرعب، فلا عجب أن حاول المشقون فى العقود الحديثة إعادة خلق الإحساس بالبراءة والمزاح بأن أطلقوا على أنفسهم اسم: «ما بعد الحداثة»..

«عصرنا ليس عصر استنارة، بل عصر المذهب الأصولى، والخرافة والكلية، كما أن الخوف - فيما يبدو - قد اكتسب أرضاً، لكننا مازلنا جميعاً أبناء لعصر التنوير، وربما كان موقفنا أكثر تعقيداً ومصادرنا العقلية أشد نقاءً لكننا نواجه أزمات ربما كانت مألوفة لشخص مثل ديدرو، أو شخص مثل فولتير أو روسو، ولكن أن يكون ديدرو وحده ومعه الآخرون على يقين من أن المرء يمكن أن يجرؤ على مواجهة الأسئلة والاعتماد على قدرات المرء على التأمل والتفكير، وأن يكون على استعداد لإعادة التفكير فى كل شىء.

Educational, Basingstoke 1990). Dena Goodman's *The Republic of Letters* (Cornell UP, Ithaca & London 1994) gives a cultural history of the French Enlightenment.

سير ذاتية

Diderot has two prize-winning biographies: by A.M. Wilson (Oxford UP, New York 1972) and P.N. Furbank (Secker & Warburg, London 1992). There are shorter biographies by Peter France (Oxford UP, Oxford 1983) and Otis Fellows (G.K. Hall, Boston, Mass. 1977); and a selection of Diderot's *Letters to Sophie Volland*, trans. Peter France (Oxford UP, Oxford 1972).

Gustave Lanson's *Voltaire* (1906) was reissued with an introduction by Peter Gay (John Wiley, New York & London 1966). A new short biography is H.T. Mason's *Voltaire, A Biography* (Granada, London 1981). Nancy Mitford's *Voltaire in Love* (Hamish Hamilton, London 1957) is a good way to get to know Voltaire's fascinating lover, Mme du Châtelet.

The best biography of Rousseau is by Maurice Cranston, in 3 vols.: *Jean-Jacques; Noble Savage; The Solitary Self* (Allen Lane, London 1987, 1991, 1997 respectively). Mark Hulliung's *Autocritique of the Enlightenment: Rousseau and the Philosophes* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1994) is a brilliant study. *Rousseau* by Robert Wokler (Oxford UP, Oxford 1995) is also excellent. The essay on Rousseau in Paul Johnson's book *Intellectuals* (Weidenfeld & Nicholson, London 1988) is worth reading.

Montesquieu: a Critical Biography by R. Shackleton (Oxford UP, Oxford 1969) remains a classic. *D'Holbach's Circle: an Enlightenment in Paris* (Princeton UP 1977) shows the group that supported the most radical atheist of the age.

The Life of David Hume by E.C. Mossner (Clarendon Press, Oxford 1980) is the standard biography. *Wealth and Virtue: the Shaping of Classical Political Economy in the Scottish Enlightenment*, ed. M. Ignatieff & I. Hont (Cambridge UP, Cambridge 1983) surveys the Scottish Enlightenment. Michael Ignatieff's *The Needs of Strangers* (Chatto & Windus, London 1984) has fascinating chapters on Hume and Boswell, and on Smith and Rousseau.

تأويل وإعادة تأويل

There is much literature on the sociology of the period. Jürgen Habermas' study of the republic of letters in *The Structural Transformation of the Public Sphere* (Polity Press, Cambridge 1989) has inspired many commentaries and historical studies of intellectual life in the period. The sociology of intellectual circles is covered in Lewis Coser's *Men of Ideas* (Macmillan, London & The Free Press, New York 1970) and in the more detailed study by Robert Wuthnow, *Communities of Discourse: Ideology and Social Structure in the Reformation, the Enlightenment, and European Socialism* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1989).

Robert Darnton's books on the life of the mind and the circulation of ideas in the Ancien Régime include: *The Business of Enlightenment: a Publishing History of the Encyclopédie 1775-1800* (Belknap, Cambridge, Mass. & London 1979), *The Great Cat Massacre* (Penguin, Harmondsworth 1985), *The Literary Underground of the Old Regime* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London

1982), *Mesmerism and the End of the Enlightenment in France* (Harvard UP, Cambridge, Mass. & London 1968), and *The Forbidden Best-Sellers of Pre-Revolutionary France* (HarperCollins, London 1996).

A readable history of the French Revolution is Simon Schama's *Citizens: A Chronicle of the French Revolution* (Knopf, New York & Penguin, London 1989). Hannah Arendt's *On Revolution* (Penguin, Harmondsworth 1973) contains brilliant studies of the American and French revolutions from what might be termed an "Enlightenment" perspective.

The Dialectic of Enlightenment (1947) by Theodor Adorno & Max Horkheimer (Herder & Herder, New York 1972 & Allen Lane, London 1973) considers the dark side of the Enlightenment legacy. Max Horkheimer's essay "Some Remarks on Enlightenment" (1947), translated in *Theory, Culture & Society*, vol. 10 (SAGE Publications, London 1993) summarizes what Adorno and Horkheimer saw as "self-defeating" processes of Enlightenment. These themes are reconsidered in Zygmunt Bauman's *Legislators and Interpreters* (Polity Press, Cambridge & Cornell UP, Ithaca 1987) and *Modernity and Ambivalence* (Polity Press, Cambridge 1991). The contemporary legacy of the Enlightenment lies behind *The Philosophical Discourse of Modernity* by Jürgen Habermas (MIT Press, Cambridge, Mass. 1987 & Polity Press, Cambridge 1990). In his essay "What is Enlightenment?" in *The Foucault Reader* (Pantheon, New York 1984 & Penguin, Harmondsworth 1991) Michel Foucault engages with the contemporary relevance of Kant's famous essay.

لقد كانت المسألة المركزية في الفلسفة والفكر النقدي منذ القرن الثامن عشر هي على الدوام: ما هذا العقل الذى نستخدمه؟ وما نتائجها التاريخية؟ وما حدوده، وما مخاطره؟

ميشيل فوكو في مقابلة «المكان، والمعرفة، والقوة» (عام ١٩٨٢).
المنظر الاجتماعى الألماني «يورين هابرماس» ربما كان أفصح مَنْ دافع عن الصلة المعاصرة بمشروع عصر التنوير.

«لا يزال لمفكرى عصر التنوير التوقعات المبالغ فيها، التى تقول إن الفنون والعلوم لن تروج فقط للسيطرة على القوى الطبيعية، بل سوف تفهم أبعد من ذلك السيطرة على العالم وعلى الذات، والتقدم الأخلاقى، وعدالة المؤسسات، بل حتى سعادة الموجودات البشرية، ولقد بعثر القرن العشرون هذا التفاؤل... أينبغى علينا أن نتمسك بنوايا عصر التنوير ومقاصده حتى ولو كانت ضعيفة كما هي - أم ينبغى علينا أن نعلن أن مشروع الحداثة برمته هو قضية خاسرة؟».

هابرماس «الحداثة في مواجهة ما بعد الحداثة».

في «النقد اليسارى الجديد» ٢٢ (شتاء عام ١٩٨١).

عالم الاجتماع المولود في بولندا زيجمونت بومان هو واحد من كثير من المفكرين المعاصرين الذين حذروا من التسرع في التوحد مع آمال عصر التنوير وتطلعاته، لقد رأى بومان أن «الحداثة» هي تاريخ طويل لاتجاه فكرى مكافح بين المثقفين عبر عن دعواهم عن قدرتهم للتشريع للمجتمع ككل، وبذلك حل المشكلات التى أثارها الحداثة، (مثل نمو المجتمع الجزأ التجارى والتكنولوجي). لقد رأى بومان البحث عن «حلول» وخطورة الشرع العقليين على أنها متضمنة في كثير من ألوان الرعب الموجودة في الحداثة بما في ذلك القتل الجماعى، وفي رأى بومان أن ما هو إيجابى في الانتقال إلى «ما بعد الحداثة» هو الاعتراف بأنها تجسد أن علينا أن نتعلم أن نتعايش مع التغير الاجتماعى، ومع المشكلات الاجتماعية، وأن المثقفين في استطاعتهم أن يلعبوا دورا أكثر تواضعا لكنه أكثر فائدة كمفسرين لعالمنا المرتبك والمربك.

فى استطاعتنا أن نتصالح وأن نكون أصدقاء مع عصر التنوير، فتأملات ما بعد الحداثة الجذرية أعادتنا إلى عصر التنوير الذى نستطيع أن نتعرف فيه على الأسس نفسها التى تجمعنا نفهم العالم، فهو - كمعصرنا - عصر انحلت فيه ألوان اليقين والاستقرار طويل الأمد، إننا نحتاج إلى نماذجه، فكما أن مفكرى عصر التنوير احتاجوا إلى الرومان المحبين لديهم من أمثال شيشرون وسينكا، وكما أنهم ناضلوا لإعادة فهم العالم بمصطلحات دنيوية فإن رجالاً من أمثال ديدرو قد خلبهم آخر المفكرين الوثنيين العظام فى سنوات «اضحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» وكما لاحظ مونتسكيو فقد كان القدماء «كتباً حية» فقد عرفوا التاريخ، فى حين أن المحدثين امتلكوا التاريخ فحسب.

مراجع

Translations of the major works of the Enlightenment are readily available: Diderot's *Rameau's Nephew* and *This is Not a Story* (Oxford UP, Oxford & New York 1993); his *Selected Writings on Art and Literature*; Voltaire's *Letters on England* and *Candide* (Oxford UP, Oxford & New York 1990); Rousseau's *Reveries of a Solitary Walker* and *Discourses*; Montesquieu's *Persian Letters*; Hume's *Selected Essays* (Oxford UP, Oxford & New York 1993). (All Penguin UK/Viking USA except the three OUP titles listed above.)

مختارات

There are many anthologies of Enlightenment writings. My favourite is *The Portable Enlightenment*, ed. I. Kramnick (Penguin/Viking 1995); also *The Age of Enlightenment*, ed. L. Crocker (Macmillan, London 1969); *The Age of Enlightenment*, 2 vols., ed. S. Elliot, B. Stern (Open UP, London 1979); *The Age of Enlightenment*, ed. I. Berlin (Oxford UP, Oxford & New York 1979).

أعمال عامة

Peter Gay's *The Enlightenment, an Interpretation* (1969) is a treat (reissued by W.W. Norton, New York 1996: vol. 1, *The Rise of Modern Paganism*; vol. 2, *The Science of Freedom*). Ernst Cassirer's *The Philosophy of the Enlightenment* (1932) is a highly readable classic (Princeton UP, 1969). Norman Hampson's *The Enlightenment* (Penguin, Harmondsworth 1968) gives a clear insight into changes in scientific, social and political thought. There are still many surprises in Paul Hazard's *The European Mind 1680-1715* and *European Thought in the Eighteenth Century* (both Penguin, Harmondsworth 1968). Insights on recent scholarship are offered by Dorinda Outram, *The Enlightenment* (Cambridge UP,

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوف	أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد مقصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى
١١- مختارات شعرية	فيسوفا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونستون وأيرين فراك	أحمد محمود
١٣- بيانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثنية السوداء (ج١)	مارتن برنال	يلشراق: لحد عثمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بنوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى وبنوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقمص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارنر	يكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	يلشراق: جابر عصفور
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الطلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	أحمد فؤاد بليغ
٣٤- الرواية العربية	روجر آن	حصاة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحدادة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عبد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين بارير	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزئوج	أوكثافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصناف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغفور	روبرت دينيا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام فى البلقان	ه . ت . نوريس	عبد الزهاب غلوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنلكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدميمى	ب. نوفاليس وس. روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي قطيم وعادل دمرdash
٥٣-	الدrama والتعليم	ا . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	الحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذة النص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . توميكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

أحمد درويش	أندريه موروا	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعيد الفانمي وناصر حلاوي	بوريس أوسبنسكي	شعرية التاكليف	٧٩-
مكارم الفمري	ألكسندر بوشكين	بوشكين عند «نافورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشرقاوي	بندكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد علي	ميجيل دي أونامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالي	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شحبة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرزاق بركات	صلاح زكي أقطاي	منصور الحلاج (مسرحية)	٨٥-
أحمد فتحى يوسف شتا	جمال مير صابقي	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العناني	جلال آل أحمد	نون والظلم (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقي شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالفترب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محيي الدين	أنتوني جينز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	وسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باريرا لاسوتسكا - بشونباك	السرحد والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	أساليب ومضامين المسرح الإسباني الأمريكي المعاصر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فينرستون وسكوت لاش	محدثات العولمة	٩٣-
فوزية العشماوي	صمويل بيكيت	مسرحيتا الحب الأول والصحب	٩٤-
سرى محمد عبد اللطيف	أنطونيو بويرو بايخو	مختارات من المسرح الإسباني	٩٥-
إيوار الخراط	نخبة	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	٩٦-
بشير السباعي	فوتان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روبنسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم فتحى	بول هيرست وجراهام تومسون	مساغة العولمة	١٠٠-
رشيد بنحو	بيرنار فاليت	النص الروائي: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتاني الإدريسي	عبد الكبير الخطيبي	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤدب	قبر ابن عربي يليه آباء (شعر)	١٠٣-
عبد الغفار مكاوي	برتوات بريشت	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شميل	چيرارچينيت	مخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف على دعود	ماريا خيسوس روبييرا متي	الأدب الأندلسي	١٠٦-
محمد عبد الله الجعدي	نخبة من الشعراء	سيرة الفنان في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	١٠٧-
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	چون بولوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنه بيجوم	النساء في العالم النامي	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسيس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	الاحتجاج الهادئ	١١٢-

أحمد حسان	سادى پلاند	١١٣- راية التمرد
نسيم مجلى	وول شوينكا	١١٤- مسرحيتا حصاد كرنجى وسكان المستنقع
سمية رمضان	فرچينيا وولف	١١٥- غرفة تخص المرء وحده
نهاد أحمد سالم	سينثيا نلسون	١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)
منى إبراهيم وهالة كمال	ليلى أحمد	١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام
لميس النقاش	يث بارون	١١٨- النهضة النسائية فى مصر
بإشراف: روف عباس	أميرة الأزهرى سنبل	١١٩- النساء والاسرة والوثائق الطلاق فى التاريخ الإسلامى
مجموعة من المترجمين	ليلى أبو لغد	١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط
محمد الجندى وإيزابيل كمال	فاطمة موسى	١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية
منيرة كروان	جوزيف فوجت	١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان
أنور محمد إبراهيم	أنيتل ألكسندرو فنادولينا	١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية
أحمد فؤاد بليغ	جون جراى	١٢٤- الفجر الكائن: أوهام الرأسمالية العالمية
سمحة الخولى	سيدرك ثورپ نيشى	١٢٥- التحليل الموسيقى
عبد الوهاب علوب	فولفغانج إيسر	١٢٦- فعل القراءة
بشير السباعى	صفاء فتحى	١٢٧- إرهاب (مسرحية)
أميرة حسن نويرة	سوزان باسنيت	١٢٨- الألب المقارن
محمد أبو العطا وآخرين	ماريا دولورس أسيس جاروت	١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة
شوقى جلال	أندريه جوند فرانك	١٣٠- الشرق يصعد ثانية
لويس بقطر	مجموعة من المؤلفين	١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى
عبد الوهاب علوب	مايك فينرستون	١٣٢- ثقافة العولة
طلعت الشايب	طارق على	١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)
أحمد محمود	بارى ج. كيمب	١٣٤- تشريح حضارة
ماهر شفيق فريد	ت. س. إليوت	١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت
سحر توفيق	كينيث كهنو	١٣٦- فلاحو الباشا
كاميليا صبحى	جوزيف مارى مواريه	١٣٧- منكرات ضابط فى العملة الفرنسية على مصر
وجيه سمعان عبد المسيح	أندريه جلوكسمان	١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
مصطفى ماهر	ريتشارد فاچنر	١٣٩- باريسفيل (مسرحية)
أمل الجبورى	هريرت ميسن	١٤٠- حيث تلقى الأنهار
نعيم عطية	مجموعة من المؤلفين	١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية
حسن بيومى	أ. م. فورستر	١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل
عدلى السمرى	ديرك لايدر	١٤٣- قضايا التظهير فى البحث الاجتماعى
سلامة محمد سليمان	كارلو جولدونى	١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)
أحمد حسان	كارلوس فوينتس	١٤٥- موت أرتيمير كروث (رواية)
على عبدالرحمن البعبى	ميجيل دى ليبس	١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)
عبدالغفار مكاوى	تانكريد دورست	١٤٧- مسرحيتان
على إبراهيم منوفى	إنريكي أندرسون إمبرت	١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية
أسامة إسبر	عاطف فضول	١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس
منيرة كروان	روبرت ج. ليتمان	١٥٠- التجربة الإغريقية

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام الفراغة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى القتمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجرى	عبدالعزیز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيدولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زبدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيرى	صلاح عبدالعزیز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	جورنون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهر المصافقة
١٦٦-	العلاقات بين التبتين والطمانين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرائك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصه إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل قصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	الثقافة الأمريكية من الكنديين إلى الشائينيين	فنسنث ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوة (شعر)	و.ب. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالة لا تتام	هانز إيندورفر	لسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزج علوى	محمد علاه الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرتان	بدر الديب

سعيد الفانمي	بول دي مان	العصر والبصرة: مقالات في بلاغة النقد للعاصر	١٨٩-
محسن سيد فرجاني	كونفوشيوس	محاورات كونفوشيوس	١٩٠-
مصطفى حجازي السيد	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	الكلام رأسمال وقصص أخرى	١٩١-
محمود علاوي	زين العابدين المراغي	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	١٩٢-
محمد عبد الواحد محمد	بيتر أبراهامز	عامل النجم (رواية)	١٩٣-
ماهر شفيق فريد	مجموعة من النقاد	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	١٩٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	شتاء ٨٤ (رواية)	١٩٥-
أشرف الصباغ	فالتين راسيوتين	المهلة الأخيرة (رواية)	١٩٦-
جلال السعيد الحفناوي	شمس العلماء شبلي التنعمانى	سيرة الفاروق	١٩٧-
إبراهيم سلامة إبراهيم	إبوين إمري وآخرون	الاتصال الجماهيري	١٩٨-
جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد	يعقوب لاندau	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	١٩٩-
فخزى ليب	جيرمي سيبروك	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	٢٠٠-
أحمد الأنصاري	جوزايا رويس	الجانب الديني للفلسفة	٢٠١-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه وليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٤)	٢٠٢-
جلال السعيد الحفناوي	ألفاف حسين حالي	الشعر والشاعرية	٢٠٣-
أحمد هويدي	زالمان شازار	تاريخ نقد العهد القديم	٢٠٤-
أحمد مستجير	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	الجيئات والشعوب واللغات	٢٠٥-
علي يوسف علي	جيمس جلايك	الهيولية تصنع علماء جديداً	٢٠٦-
محمد أبو العطا	رامون خوتاسنديز	ليل أفريقي (رواية)	٢٠٧-
محمد أحمد صالح	دان أوربان	شخصية العربي في السرح الإسرائيلي	٢٠٨-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	السرد والمسرح	٢٠٩-
يوسف عبد الفتاح فرج	سنائي الغزنوي	مثنويات حكيم سنائي (شعر)	٢١٠-
محمود حمدي عبد الغني	جوناثان كلر	فردينان دوسوسير	٢١١-
يوسف عبدالفتاح فرج	مرزيان بن رستم بن شروين	قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان	٢١٢-
سيد أحمد علي الناصري	ريمون فلاور	مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل ميداناصر	٢١٣-
محمد محيي الدين	أنتوني جينز	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	٢١٤-
محمود علاوي	زين العابدين المراغي	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	٢١٥-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	جوانب أخرى من حياتهم	٢١٦-
نادية البنهاوي	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	مسرحيتان ظليعتان	٢١٧-
علي إبراهيم منوفي	خوليو كورتاثان	لعبة الحجلة (رواية)	٢١٨-
طلعت الشايب	كازو إيشجورو	بقايا اليوم (رواية)	٢١٩-
علي يوسف علي	باري باركر	الهيولية في الكون	٢٢٠-
رفعت سلام	جريجوري جوزدانيس	شعرية كفاني	٢٢١-
نسيم مجلي	رونالد جراي	فرانز كافكا	٢٢٢-
السيد محمد نقادي	باول فيرابند	العلم في مجتمع حر	٢٢٣-
منى عبدالظاهر إبراهيم	برانكا ماجاس	دمار يوغسلافيا	٢٢٤-
السيد عبدالظاهر السيد	جابريل جارشيا ماركيت	حكاية غريق (رواية)	٢٢٥-
طاهر محمد علي البريري	ديفيد هريت لورانس	أرض المساء وقصائد أخرى	٢٢٦-

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه ماريا ديث بوركي	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	جانيت وواف	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيچان	مازق البطل الوحيد	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز جاكوب	عن الذباب والفئران والبشر	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	الرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	ما بعد المعلومات	٢٣٢-
طلعت الشايب	أرثر هيرمان	فكرة الاضمحلال في التاريخ القريب	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	ج. سينسر تريمنجهام	الإسلام في السودان	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبریزی (ج١)	٢٣٥-
أحمد الطيب	ميشيل شوبكيفيتش	الولاية	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	روين فيدين	مصر أرض الوادي	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعري منبولى أحمد	تقرير لمنظمة الانكتاد	العولة والتحرير	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جيلا رامراز - رايوخ	العربي في الأدب الإسرائيلي	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	كاي حافظ	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	٢٤٠-
ايتسام عبدالله	ج . م . كوتزى	في انتظار البرابرة (رواية)	٢٤١-
صبرى محمد حسن	وليام إميسون	سبعة أنماط من الفموض	٢٤٢-
باشرف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكييل	الغليان (رواية)	٢٤٤-
توفيق على منصور	إليزابيتا أنيس وآخرون	نساء مقاتلات	٢٤٥-
على إبراهيم منوفى	جابريل جارتيا ماركيت	مختارات قصصية	٢٤٦-
محمد طارق الشرقاوى	والتر أرميرست	الثقافة الجماهيرية والهدا في مصر	٢٤٧-
عبداللطيف عبدالحميد	أنطونيو جالا	حقول عن الخضراء (مسرحية)	٢٤٨-
رفعت سلام	دراجو شتامبوك	لغة التمزق (شعر)	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	لومنيك فيك	علم اجتماع العلوم	٢٥٠-
باشرف: محمد الجوهري	جوربون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٥١-
على بدران	مارجو بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	٢٥٢-
حسن بيومى	ل. أ. سيمينوفا	تاريخ مصر الفاطمية	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروفز	أقدم لك: الفلسفة	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروفز	أقدم لك: أفلاطون	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وكريس جارات	أقدم لك: ديكارت	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	وليم كلى رايت	تاريخ الفلسفة الحديثة	٢٥٧-
عبادة كحيلة	سير أنجوس فريزد	الفجر	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	نخبة	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	٢٥٩-
باشرف: محمد الجوهري	جوربون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	زكى نجيب محمود	رحلة في فكر زكى نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	إنوارو مندوتا	مدينة المعجزات (رواية)	٢٦٢-
على يوسف على	چون جرين	الكشف عن حافة الزمن	٢٦٣-
لويس عوض	هوراس وشلى	إبداعات شعرية مترجمة	٢٦٤-

روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض	٢٦٥-
مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على	٢٦٦-
فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروكي	٢٦٧-
ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا	٢٦٨-
وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفورد بالجريف	صبري محمد حسن	٢٦٩-
وسط الجزير العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفورد بالجريف	صبري محمد حسن	٢٧٠-
الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقي جلال	٢٧١-
الآليرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم	٢٧٢-
الاصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى	٢٧٣-
السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى	٢٧٤-
د. س. إليوت شاعرًا وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد	٢٧٥-
فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى	٢٧٦-
الجنينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى	٢٧٧-
البدائيات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله	٢٧٨-
الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب	٢٧٩-
الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم	٢٨٠-
الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى	٢٨١-
طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق	٢٨٢-
السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرعوف البمبى	٢٨٣-
هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عثمان	٢٨٤-
رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم	٢٨٥-
سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغى	محمود علوى	٢٨٦-
الثقافة والعولة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون	٢٨٧-
الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى	٢٨٨-
ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم	٢٨٩-
علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم	٢٩٠-
تاريخ المسرح الإنسانى فى القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩١-
تاريخ المسرح الإنسانى فى القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩٢-
مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون	٢٩٣-
فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت	٢٩٤-
سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب	٢٩٥-
مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى	٢٩٦-
فن النحو بين اليونانية والسريانية	نيونيسيوس ثراكس ويوسف الاهوازى	ماجدة محمد أنور	٢٩٧-
مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد	٢٩٨-
ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد	٢٩٩-
أسطورة برونيتيس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء جامهين وإيزابيل كمال	٣٠٠-
أسطورة برونيتيس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى	٣٠١-
أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام	٣٠٢-

٢٠٢- أقدم لك: بوذا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليونار	نبيل سعد
٢٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورين فان لو	ممنوح عبد المنعم
٢٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٢١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبيوس	أسعد حليم
٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٢١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٢١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٢١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. سقون	نسيم مجلى
٢١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩- صور دريدا	جايتري اسبيفاك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠- لمة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ياشرف: صلاح فضل
٢٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كلينباور	خالد مقلح حمزة
٢٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٢٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٢٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب يوسان	كريستين يوسف
٢٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	سامى صلاح
٢٣١- عندما جاء السريدين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الانتصارى
٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحقناوى
٢٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

حسن حلمي	راينر ماريا رلكه	قصائد من رلكه (شعر)	٢٤١-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبدالرحمن الجامي	سلامان وأيسال (شعر)	٢٤٢-
سمير عبد ربه	نادين جورديمير	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	٢٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيرو	الموت في الشمس (رواية)	٢٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	بونه ندائى	الركض خلف الزمان (شعر)	٢٤٥-
جمال الجزيرى	رشاد رشدى	سحر مصر	٢٤٦-
بكر الطو	جان كوكتو	الصبية الطائشون (رواية)	٢٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلى	المتصوفة الأولون في الأدب التركى (ج١)	٢٤٨-
أحمد عمر شاهين	آرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٢٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٢٥٠-
أحمد الانصارى	جوزايا رويس	مبادئ المنطق	٢٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٢٥٢-
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامى في الأتلس: الزخرفة الهندسية	٢٥٣-
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامى في الأتلس: الزخرفة النباتية	٢٥٤-
محمود علوى	حجت مرتجى	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	٢٥٥-
بدر الرفاعى	بول سالم	الميراث المر	٢٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثى فريك وبيتر غاندى	متون هرمس	٢٥٧-
مصطفى حجازى السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامة	٢٥٨-
حبيب الشارونى	أفلاطون	محاورة بارمنيدس	٢٥٩-
ليلى الشريينى	أندريه جاكوب ونويلا باركان	أنثروبولوجيا اللغة	٢٦٠-
عاطف معتمد وأمال شاور	آلان جرينجر	التصحر: التهديد والمجابهة	٢٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شبورل	تلميذ بابنبرج (رواية)	٢٦٢-
صبرى محمد حسن	ريتشارد جيبسون	حركات التحرير الأفريقية	٢٦٣-
نجله أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حادثة شكسبير	٢٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بودلير	سام باريس (شعر)	٢٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع الذئاب	٢٦٦-
البراق عبدالهادى رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجريء	٢٦٧-
عابد خزندار	جيرالد برنس	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	٢٦٨-
فوزية العشماوى	فوزية العشماوى	المرأة في أدب نجيب محفوظ	٢٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليلا لويت	الفن والحياة في مصر الفرعونية	٢٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلى	المتصوفة الأولون في الأدب التركى (ج٢)	٢٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ مينغ	عاش الشباب (رواية)	٢٧٢-
على إبراهيم منوفى	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة دكتوراه	٢٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	اليوم السادس (رواية)	٢٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٢٧٥-
إنوار الخراط	جان أنوى وآخرون	الغضب وأحلام الستين (مسرحيات)	٢٧٦-
محمد علاه الدين منصور	إدوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	٢٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٢٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنيل بات	٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	٣٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٣٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادى	بهاء الدين محمد إسفنديار	٣٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد على بهادراد	٣٨٥- مشترى العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٣٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى
بهاء چاهين	چون دن	٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٣٨٨- مواظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. فى. روبرتس	٣٩٠- الارشيفات والمدن الكبرى
منى النوروى	مايف بينشى	٣٩١- الحافلة الليلى (رواية)
عبداللطيف عبدالحليم	فرناندو دى لاجرانجا	٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٣٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٣٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٣٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	٣٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٣٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	٣٩٩- أقدم لك: كامى
ياهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- موهو (رواية)
مدوح عيد المنعم	زياوون ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
مدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكينج
عماد حسن بكر	توبور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أندره جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينييفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبيان	باسكال كازانوفا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. آ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمعظم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العشانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسليم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميچاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقمصن أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثرىا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليوفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزودان جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياقاللى	باتريك كبرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زيرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كويلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق العربى	شبللى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبيرس	عايدة سيف النولة
٤٣٩-	موت المراهبى (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروسناد	محمد طارق الشراوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	الفة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستنج	محمد طارق الشراوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	الكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمعظم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمعظم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	محى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسني (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاتصايات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	سنقارت هود وليتز جاستنز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكأن	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	النولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلّة	مايكل بارنتى	حصّة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين قانونيك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيغين ديلى	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا زويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرزاق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتي (القسم الأول)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتي (القسم الثانى)	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحباب بعيدة: بيرم التونسي	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدي
٤٧٩-	المقهى (مسرحية)	لاوشه	عبد العزيز حمدي
٤٨٠-	تساي ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدي
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روييرت ياكوس	رشيد بنحو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبابدى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسْرُل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسْرُل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار البغواء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأثري	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

محمد صالح الضالع	هارولد بالمر	٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات
شريف الصيغى	نصوص مصرية قديمة	٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار
حسن عبد ربه المصرى	إدوارد تيفان	٤٩٥- اللوى
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولى	٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج١)
مصطفى رياض	نادية العلى	٤٩٧- الطمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط
أحمد على بدوى	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع
طلعت الشايب	تيتز رووكى	٥٠٠- فى طغفوتى: دراسة فى السيرة القاتبة العربية
سحر فراج	آرثر جولد هامر	٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (ج١)
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	٥٠٢- أصوات بديلة
محمد نور الدين عبدالمنعم	نخبة من الشعراء	٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	٥٠٤- كتابات أساسية (ج١)
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	٥٠٥- كتابات أساسية (ج٢)
عبدالحميد فهمى الجمال	آن تيلر	٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية)
شوقى فهم	بيتر شيفر	٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية)
عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقى جلبنارلى	٥٠٨- الملووية بعد جلال الدين الرومى
قاسم عبده قاسم	آدم صبرة	٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك
عبدالرازق عيد	كارلو جولدونى	٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)
عبدالحميد فهمى الجمال	آن تيلر	٥١١- كوكب مرقع (رواية)
جمال عبد الناصر	تيموثى كوريجان	٥١٢- كتابة النقد السينمائى
مصطفى إبراهيم فهمى	تيد أنتون	٥١٣- العلم الجسور
مصطفى بيومى عبد السلام	جونثان كولر	٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية
فدوى مالى دوجلاس	فدوى مالى دوجلاس	٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة
صبرى محمد حسن	آرنولد واشنطن ودونا باوندى	٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	٥١٨- استكشاف الأرض والكون
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة
أمل الصبان	أحمد يوسف	٥٢٠- الولوج الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع
عبدالوهاب بكر	آرثر جولد سميث	٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة
على إبراهيم منوفى	أميركو كاسترو	٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالتونانو	٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمجن
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٥٢٤- الملك لير (مسرحية)
نادية رفعت	دنيس جونسون	٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى
محبى الدين مزيد	ستيفن كروى ووليم رانكين	٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية
جمال الجزيرى	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	٥٢٧- أقدم لك: كافكا
جمال الجزيرى	طارق على وفيل إيفانز	٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية
حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى	محمد إقبال	٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى
عمر الفاروقى عمر	رينيه جينو	٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية

٥٣١-	ما الذى حثَّ فى «حثِّ» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزیز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل منتجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكارى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانييلز	محمد الحيدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رؤف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهالوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الألب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبد.القادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وأن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبين وبودن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كويلي ولبيتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم ويبر	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثريانتس	على عبد الرؤوف اليمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جييفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين سارداروبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين ويليين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاينيتو بينايبينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عش الغريب (مسرحية)	خاينيتو بينايبينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	دييورا ج. جينر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المقتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسماني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجتانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسي للعولة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرهف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف التولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	باشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود نولت أبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمز	سهم عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر المصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدي
٥٨٨-	أمخوتب الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجبية (رواية)	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من المورثات الشعبية الفننية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتوس	على عبدالنواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج١)	محمد صبرى السورىونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج٢)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبد الرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهريين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ثوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	أرثر أيزنبرجر	وقاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبورسكى (المصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
العمارة المبدعة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
النقد والأيدىولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
رسالة النفسىة	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
مفاتيح أورشليم القدس .	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعى
النزوية المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينج	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
نوابر جحا الإيرانية	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	توفيق على منصور
حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولا جويات	عزة الخميسى
سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
مختارات من الشعر الأفرىقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	بولورس برامون	رانيا محمد
الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
التثيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
حج يولنده	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
الديمقراطية والشعر	روبرت بن ودين	فؤاد عيد المطلب
فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
أكسياد	الأميرة أناكومينا	حسن حبشى
برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر ويورين فان لون	معنوح عبد المنعم
سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدرايبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
العلوم عند المسلمين	هوارد د. تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين وينكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	دبليسيس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود تروينكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطفافة (مسرحية)	إيريش كستتر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	معدوح البستارى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجنور	داسو سالديار	صبرى التهامي
٦٦٣-	امراة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطوير الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كلين	جمال عبد الناصر ومنحت الجبار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القائمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالامير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إيتهاال سالم
٦٧٣-	ضرب الكلم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (ج٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (ج٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

صبرى محمد حسن	ت. م. ألوكر	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروج	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروج	الأعمال القصصية الكاملة (المحرم) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امراة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العنانى	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عيد الفتاح	تالوش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدي الجابرى	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حاثيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدي الجابرى	جيف كولينز وبيلى مايلين	أقدم لك: بريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روس	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروف	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندريجى كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٨٤٣ / ٢٠٠٥

Introducing... The Enlightenment

& Llyd Spencer
Andrzej Kraze

أقدم لك... هذه السلسلة !

يتناول هذا الكتاب بالدرس والتحليل عصرا من أهم العصور التي مرت على الإنسان في العصر الحديث ، وأعني به "عصر التنوير" في القرن الثامن عشر، رغم أنه يصعب تحديد العصر بقرن معين، ولعل هذا هو السبب الذي جعل المؤلف يبدأ كتابه بالحديث عن "الثورة المجيدة" في إنجلترا وهي التي نشبت في أواخر القرن السابع عشر.

والواقع أن عصر التنوير (أو الأنوار والاستنارة... إلخ) لم يكن مجرد حقبة متميزة أو تغير حاسم في التاريخ الإنساني فحسب، بل كان حركة سياسية، وعلمية، وأخلاقية هائلة، جعلت المثقفين في أوروبا والعالم الجديد يرتبطون في شبكة من الصداقة، والمشروعات المشتركة والمناقشات المتبادلة، ويبدعون في تحرير أنفسهم من سلطة الكنيسة، ويجدون معنى لرسالتهم وهي الدعوة إلى إعادة التفكير في العالم بمصطلحات دنيوية.

عصر التنوير